النص المسرحى
المرآة الصامتة

تأليف : بن جونسون ■ ترجمة وتقديم : د .خالد عباس حسب ربه

مقدمة

ثانى اثنين فى المسرح الإنجليزى فى أوائل القرن السابع عشر الميلادى، وأول عصره فى كتابة الكوميديا. فإذا كان معاصره وصديقه اللدود وليم شكسبير (١٥٦٤ ـ ١٦١٦)، لا ينازع فى فن التراجيديا، فإن أعمال بن جونسون (١٥٧٣ ـ ١٦٣٧) الكوميدية لا تبارى، وإذا كان شكسبير قد اختار أن يكتب مسرحه الكوميدى شعرًا فى إطار رومانسى، ينقر عواطف الحب نقرًا خفيفًا، يمس به شغاف الأفئدة، متكئًا على قدرته الشعريةالإنسيابية، فقد اتجه بن جونسون اتجاهًا مغايرًا يغوص من خلاله فى دقائق النفس البشرية، فى جوانبها المظلمة، أو بالأحرى فى الرقعة السوداء التى تلطخ الثوب الأبيض، الذى ولد به الإنسان، ثوب البراءة.

يرى بن جونسون أن مهمة الكاتب المسرحى هى تعريةنقائص النفس البشرية والسلوك الإنسانى غيرالسوى فى المجتمع، لا هدفًا فى حد ذاته، وإنما بغية إصلاح المعوج أو تقويمه لغاية أرقى، وهى صلاح المجتمع.

منطلق الكاتب المسرحى فى مفهوم بن جونسون، إذن، أخلاقى إصلاحى، ولكن هذا لا يعنى بأية صورة أنه مجرد مصلح اجتماعى لا يمتلك أدوات الكتابة المسرحية فى أوج طاقاتها. بل إن الدليل العملى من أعماله ذاتها يؤكد اتساق وتلازم القدرة الفنية مع التوجه النقدى.

ويرجع مفهوم بن جونسون إلى تاثيرات النقد الإغريقى والرومانى، إلى أرسطو الذى يرى فى الكوميديا:

محاكاة لمن هم أدنى من وسطية البشر، لا فيما يخص أى شر كان،

وإنما ما يخص السخف الذى هو نوع من القبح. السخف الذى يمكن

تعريفه على أنه عيب أو نقيصة لا يتسبب عنها ألم أو أذى

للآخرين(١).

فالكوميديا فى نظر أرسطو تتعامل مع أولئك الأشخاص الذين هم ليسوا باشرار، وإنما حمقى الطباع بشكل أو بآخر، على ألا تكون هذه الحماقات مؤلمة أو مؤذية لسواهم. ويتفق بن جونسون مع أفلاطون وشيشرون فى رؤيتهما للضحك على أنه نتاج السخف، لأنه يرتبط بما هو معيب، ولكنه أقرب ما يكون إلى مفهوم الشاعر

والناقد الرومانى هوارس الذى يرى فى كتابه «فن الشعر» Ars Poetica، باعتبار أن ما يقصد بالشعر ينسحب كذلك على المسرح، وباعتبار أنه فى ذلك العصر لم يكن يُفرق بين الشاعر والمسرحى، أن هدف الشعر إنما هو «النفع أو المسرة، أو إلى مزج السرور بقدر من القيم النافعة فى الحياة»(٢). فجونسون يقرر فى مفتتحه الأول لمسرحية «المرأة الصامتة» أن فن كتابة المسرحية إنما هو من قديم الزمن يهدف إلى إمتاع المشاهد، وتهذيبه فنيًا، وينتقد طائفة الكتاب الذين يسعون إلى النفع الذاتى المادى فحسب. ويقرر أنه يكتب لجميع طبقات المجتمع وأن كل مشاهد سيجد فى عمله شيئًا يسره ويرضيه، بل ويأمل ألا يكون التأثير محدودًا مؤقتًا، وأنه سيستمر بعد إنتهاء عرض المسرحية. وهو يكرر ذلك فى المفتتح الثانى للمسرحية. ويحدد إطار العمل المسرحى الكوميدى بخروجه عن دائرة الجريمة. ويؤكد جونسون على فكرة ترجع إلى أرسطو مؤداها أن الكاتب لا يتعامل مع الحقائق تعامل الناقل وإنما هو يتعامل مع أشباه الحقائق، وذلك بعد أن يعالجها بما يتناسب وذكاء الكاتب الحاذق.

ويتفق جونسون أيضًا مع سير فيليب سدنى فى مقالته الشهيرة «دفاع عن الشعر» "An apology For Poetry"، إذ يذهب إلى أن الكوميديا محاكاة لأشيع العيوب فى حياتنا التى يقدمها الكاتب فى أسخف أطرها، ومن ثم يستحيل على أى مشاهد الرضى بأن يكون الشخص الذى على خشبة المسرح، وبمشاهدته لقبح الحماقة يعى المشاهد جمال الفضيلة.

كذلك يتفق بن جونسون مع سدنى فى مهاجمته الخروج على القواعد الكلاسيكية للمسرح، وفى مهاجمته المسرح الرومانسى الذى كان شكسبير رائدًا فيه، لاسيما فى الكوميديا(٣)، وذلك أنه لا يعير، من وجهة نظرهما، منطقية الحدث اهتمامًا من حيث الاحتمالية المكانية والزمانية، فيقول سدنى مثلا:

الآن سوف ترى ثلاث سيدات يمشين لجمع الزهور،

وعليك أن تصدق أن المسرح حديقة. ورويدا

نسمعُ أنباءًا عن حطام سفينة فى ذات المكان،

وعلينا يقع اللوم إن لم نتقبل مانرى على أنه صخرة(٤).

فالوحدات الثلاث بالنسبة للكلاسيين، ومنهم سدنى وجونسون، تنتج حسًا فنيًا تكثيفيًا وترابطًا محكمًا لعناصر الحدث. وهذا فى الحقيقة ليس قاصرًا كما قلنا على جونسون وسدنى، بل هو موقف نقدى أسبق منهما.

لقد كان هدف بن جونسون هو استعادة الكوميديا من إطارها الرومانسى لتقديم الكوميديا الواقعية. ففى مفتتحه لمسرحيته «كل إنسان وطبعه» Evry Man in His Humour (١٥٩٧)، يرى جونسون أن المسرحية مزيج بديع من القالب الكلاسى، والموضوع المعاصر،

أما الأفعال واللغة فهى التى يستخدمها الناس،

وأما الأشخاص فهم من تنتقى الكوميديا،

إذا ما رغبت فى تقديم صورة للعصر،

فتلهو، لا بالجرائم، بل بحماقات البشر.

وترجع مهاجمة بن جونسون للمسرح الرومانسى إلى أنه يعوزه القالب الكلاسى المحكم، وإلى انغماسه فى مؤثرات مسرحية رخيصة فاتحه إلى نموذج الدراما الرومانية، وجعل من مسرحه نافذة يطل منها على نقائص المجتمع محاولا تقويمها من خلال إطار فنى راقٍ. يقول جونسون فى مفتتح «فولبونى» Volpone (١٦٠٥)، متحدثًا عن نفسه:

وهكذا يقدم كوميديا مرحة، راقية،

وفق ما دعا إليه خيرة النقاد

قواعد الزمان، والمكان، والأشخاص هو مراعيها،

قيد أنملة عنها لا يحيد.

يختلف جونسون عن شكسبير فى أن الكوميديا عنده عقلية لا عاطفية، فهو فى كتابه «اكتشافات» DIS-COVERIES (حول ١٦٢٠ ـ ١٦٣٥)، يتحدث عن الجانب العقلى فى الإنسان باعتباره أنبل من الجانب العاطفى، وهذا الاتجاه العقلى عبر عنه كذلك فى مواضع أخرى. وهو بإقراره داعية أخلاقى ولكن بتوجه فنى أصيل. ويذهب فى هذا العمل إلى أنه إن كان للطبيب أن يعالج الأبدان بالدواء المر، فإن من حق الكاتب المسرحى معالجة العقول بذات الاسلوب.

وجونسون إلى جانب أنه كاتب أخلاقى فهو هجاء، وهو أمر يبدو متلازمًا مع توجهه. هذا الاتجاه جلى فى مفتتح «فولبونى»، حيث يقرر أنه يخلط مزيجه الفنى بقليل من الملح الذى يحك به وجنات المشاهدين فإذا ما احمرت من الضحك بدت بعد ذلك أزهى. ولكن العيب الذى يمس مسرح جونسون إنما هو هذا التوجه تحديدًا، فإن الكاتب الهجائى ضيق النظرة، لأنه لا يقدم الحقيقة بل جانبًا واحدًا منها، لا يقدم جوانب الشخصية كاملة، بل جانبًا أحاديًا منها. وبذلك فهو يتجاهل الجزء الأكبر مما ينبغى وضعه فى الاعتبار إذا ما أردنا إدراك كافة جوانب الشخصية. غير أن بن جونسون، فى الحقيقة، ينتمى لأحد تيارين كانا معروفين فى القرن السابع عشر، النموذج الهوراسى، نسبة إلى الشاعر والناقد الرومانى هوراس، والنموذج الجوفينالى، نسبة إلى جوفينال الهجاء الرومانى، ويميل جونسون إلى الأول الذى هو أكثر تسامحًا وأقرب فى هدفه إلى إدخال البهجة وتقويم الطبائع المعوجة بخلاف النموذج الثانى الذى يتسم بهجائية مريرة ساخطة.

وجونسون إلى جانب أنه كاتب مسرحى كبير، فهو أيضًا شاعر له رقته، وعذوبته الشعرية؛ كان شاعر البلاط، وارتبطت به زمرة من الشعراء تأثروا به أيما تأثير حتى أنهم يطلق عليهم «أبناء جونسون». ومن أشهر قصائده تلك القصيدة القصيرة التى ذاعت شهرتها من خلال مجموعة «الكنز الذهبى» وعنوانها «إلى سيليا» "To Celia" والتى يقول مطلعها:

أشربى لىّ بعينيك فحسبْ،

وأنا بعينى أشرب النخبْ،

أو اتركى قلة فى الكأس ليس إلا،

وإلى خمر لن أتطلع أنا.

وقد كتب جونسون النثر، والنقد الأدبى، وكتابًا فى قواعد اللغة الإنجليزية، وكان مهتمًا بدراسة البلاغة، والسياسة، والدين، وكان تأثيره ولاسيما فى آرائه عن المجتمع والمسرح جليًا فى الأدب الإنجليزى. أما المجال الفنى الذى حظى فيه جونسون بنجاح فائق، وعلاوة على نجاحه فى أشهر أعماله المسرحية «فولبونى» و «الكيميائى» The Alchemist، ١٦١٠، وغيرها، فهو اللون الذى يعرف بـ «الماسك» Masque، وقد برع فيه جونسون براعة لا تماثل. وهو لون من ألوان المسرح الغنائى بدأه جونسون مع تولى الملك جيمس عرش إنجلترا، فكتب فى هذا اللون ما يفوق كل ما كتبه مؤلفو عصره، وكان نجاحه فيه باهرًا. وقد أضفى جونسون على هذا اللون ثراءً دراميًا، وأضاف إليه بإدخاله عناصر فنية ترويحية كان يقوم بأدائها ممثلون وراقصون محترفون. وقد زاد من نجاح هذا اللون تعاون جونسون مع الفنان البارع فى المؤثرات البصرية انجو جونز.

كتب جونسون التراجيديا الرومانية ممثلة فى مسرحيتين، ولكنهما فشلتا، كما فشلت أعماله الأخيرة، إذ اختتم جونسون قائمة أعماله الناجحة عام١٦١٦، وهو العام الذى توفى فيه شكسبير. ومنذ عام ١٦٢٣ بدأت النوازل تلم به؛ احترقت مكتبته فى ذلك العام، وأخفق زواجه الثانى، وبعد وفاة الملك جيمس، وتولى تشارلز الأول العرش عام ١٦٢٥ لم يكن الأخير مهتمًا أو شغوفًا بماسكات جونسون فلم يغدق عليه المنح التى كان يتلقاها من الأول. ثم جاء فشل سلسلة مسرحياته الأخيرة فى الفترة من ١٦٢٩ ـ ١٦٣٣، ليقضى على ما بقى له من آمال.

بمعاصريه، قليلة، فأبوه توفى قبل شهر من مولده، وتركه لأمه فى حالة من الفقر بعد أن صودرت ممتلكاته فى عهد الملكة مارى، ودخل السجن، وبعد خروجه أنضم للكنيسة لكنه لم يلبث أن رحل من الدنيا. ولد جونسون فى وستمنستر فى أواخر عام ١٥٧٢ أو أوائل ١٥٧٣، وبذا فهو يصغر شكسبير بنحو عشر سنوات. تزوجت أمه من عامل بناء، وعمل هو نفسه صبيًا فى ذات الحرفة فترة من الوقت. ورغم أن جونسون قد حصل على درجات علمية من جامعات اكسفورد وكمبردج فى السنين الأخيرة من حياته، إلا أنه لم يتوفر له حظ التعليم المنتظم إلا على يد ويليام كامدون فى مدرسة وستمنستر، وهو الذى تعهده مما هيأ لجونسون دراسة الآداب الكلاسية. فأهداه جونسون أول أعماله الكوميدية الناجحة «كل إنسان وطبعه».

تزوج عام ١٥٩٢ وهولايزال صبىّ صنعةٍ على غير مألوف العادة فى عصره، لكنه سرعان ما هجر الصنعة إلى المسرح. وكما ذكر لأحد أصدقائه، فقد كانت زوجته سليطة حرون لكنها كانت محافظة على شرف زوجها. وقد عاش لسنوات منفصلا عنها . ثم مات له ابن وهو فى سن الطفولة، ومات له ابن آخر من الطاعون الذى كان منتشرًا آنذاك، ولم يبق له سوى ابن وحيد على قيد الحياة عاش من بعده.

ورد اسم جونسون فى قوائم إحدى الفرق المسرحية عام ١٥٩٧، مما يرجح أنه ربما بدأ نشاطه المسرحى ممثلا مثل شكسبير. ومما يروى أن جونسون قدم أول مخطوطات مسرحيته «كل إنسان وطبعه» إلى الفرقة المسرحية التى يعمل فيها شكسبير، وكان الأخير مساهمًا فيها، فكان نصيبها الرفض من مدير الفرقة إلا أن شكسبير استدعاه وقد قرأ المسرحية بنفسه، وقبلها على الفور. فإن صحت هذه الرواية تكون المسرحية قد قدمت للعرض عام ١٥٩٨، وهى المسرحية التى لعب فيها شكسبير نفسه دورًا، كما تدل على ذلك قائمة الممثلين المنشورة مع طبعة أعمال جونسون الصادرة عام ١٦١٠. وقد نجحت المسرحية نجاحًا فوريًا، وتاسست معها شهرة جونسون ككاتب مسرحى ذى قدرة فنية بارعة فى كتابة المسرحية.

أما مسرحيته «المرأة الصامتة» فهى على عكس مسرحيات جونسون الأخرى، كتبها نثرًا، وهو خروج على المألوف فى عصره، إذ أن جل المسرح كان شعرًا إلا ما ندر، وقد مزج شكسبير الشعر وقليل أو كثير من النثر فى بعض مسرحياته لكنه لم يكتب عملا مسرحيًا واحدًانثرًا. ولعل هذا يتفق مع توجهات جونسون الواقعية، ويضفى مصداقية على حواره. ومن الملاحظ أن «المرأة الصامتة» أقل مسرحيات جونسون هجائية، وأقربها إلى روح الفكاهة المتسامحة، وإلى مفهوم جونسون عن الكوميديا، فليس فيها ما فى «فولبونى»، أو «الكيميائى» من شر رغم إقرار جونسون بأن الشر ليس مجاله الكوميديا، ففولبونى وموسكا فى مسرحية «فولبونى» ليسا شخصين نضحك على ما فيهما من نقص فى الطبيعة البشرية، وإنما هما صنف من صنوف المجرمين الأشرار ولا يختلف عنهما بقية الشخصيات فى كثير إلا فى أن الجشع والطمع لا يتجاوزالحماقة إلى الجرم باعتبارهم أقل ذكاءً. أما فى «المرأة الصامتة» فالشخصيات فيها فكهة لا شريرة، «فموروز» رجل لا يتحمل الضجيج ويتمنى أن يعيش فى سكون وصمت. فما هو بالوغد ولا بالأحمق وإنما فيه ما فى البشر من غرائب الطباع. ومن العجب أن انتقاد جونسون لموروز من حيث عدم تحمله الإزعاج ليس له ما يبرره فى منظورنا العصرى، ومفهومنا المعاصر للبيئة، وما نعانيه من تلوثها البصرى والسمعى، ولكن جونسون استطاع أن يوازن بين هذا، وبين إظهار الازدواجية فى شخصية موروز الذى وإن كان يطيق الضجيج من الآخرين، حتى وإن كان مجرد حديث عادى، فهو ذاته كثير الكلام، محبًا له، عاشقًا لثرثرته الشخصية، ويظهر هذا جليًا من التكرار والاستطراد فى حوارته. ليس هناك أوغاد فى المسرحية كما فى مسرحيات جونسون الأخرى، بل إن الشخصيات الرئيسة المحركة للحدث تعتبر استثناءً وتخرج عن إطار النمطية المعروفة فى مسرحه وإن لم يصل فى رسمها إلى سبر أغوارها، ومنها تروويت. وكلريمونت، ويبدو من اسميهما ألمعيتهما لاسيما الأول، الذى يعنى اسمه «النجابة الحقة». وصدق الناقد المسرحى الكبير نيكول الذى وصف هذه المسرحية فى كتابه «الدراما البريطانية»، بقوله «إبيسين كوميديا خالصة بشكل متفرد بين أكثر مسرحيات جونسون مرارة»[٥]، أما الشاعر والمسرحى والناقد الكبير دريدان الذى يقول عن جونسون، فى مقالته الشهيرة «مقالة فى الشعر المسرحى» (١٦٦٨):

بالنسبة لجونسون، اعتقد أنه أكثر كاتب ثقافة

ونجابة حظى به مسرح على الاطلاق.. وإن قارنته

بشكسبير، فلابد وأن أقر بأنه الشاعر الأدق،

قواعد الزمان، والمكان، والأشخاص هو مراعيها،

قيد أنملة عنها لا يحيد.

يختلف جونسون عن شكسبير فى أن الكوميديا عنده عقلية لا عاطفية، فهو فى كتابه «اكتشافات» DIS-COVERIES (حول ١٦٢٠ - ١٦٣٥)، يتحدث عن الجانب العقلى فى الإنسان باعتباره أنبل من الجانب العاطفى، وهذا الاتجاه العقلى عبر عنه كذلك فى مواضع أخرى. وهو بإقراره داعية أخلاقى ولكن بتوجه فنى أصيل. ويذهب فى هذا العمل إلى أنه إن كان للطبيب أن يعالج الأبدان بالدواء المر، فإن من حق الكاتب المسرحى معالجة العقول بذات الاسلوب.

وجونسون إلى جانب أنه كاتب أخلاقى فهو هجاء، وهو أمر يبدو متلازمًا مع توجهه. هذا الاتجاه جلى فى مفتتح «فولبونى»، حيث يقرر أنه يخلط مزيجه الفنى بقليل من الملح الذى يحك به وجنات المشاهدين فإذا ما احمرت من الضحك بدت بعد ذلك أزهى. ولكن العيب الذى يمس مسرح جونسون إنما هو هذا التوجه تحديدًا، فإن الكاتب الهجائى ضيق النظرة، لأنه لا يقدم الحقيقة بل جانبًا واحدًا منها، لا يقدم جوانب الشخصية كاملة، بل جانبًا أحاديًا منها. وبذلك فهو يتجاهل الجزء الأكبر مما ينبغى وضعه فى الاعتبار إذا ما أردنا إدراك كافة جوانب الشخصية. غير أن بن جونسون، فى الحقيقة، ينتمى لأحد تيارين كانا معروفين فى القرن السابع عشر، النموذج الهوراسى، نسبة إلى الشاعر والناقد الرومانى هوراس، والنموذج الجوفينالى، نسبة إلى جوفينال الهجاء الرومانى، ويميل جونسون إلى الأول الذى هو أكثر تسامحًا وأقرب فى هدفه إلى إدخال البهجة وتقويم الطبائع المعوجة بخلاف النموذج الثانى الذى يتسم بهجائية مريرة ساخطة.

وجونسون إلى جانب أنه كاتب مسرحى كبير، فهو أيضًا شاعر له رقته، وعذوبته الشعرية؛ كان شاعر البلاط، وارتبطت به زمرة من الشعراء تأثروا به أيما تأثير حتى أنهم يطلق عليهم «أبناء جونسون». ومن أشهر قصائده تلك القصيدة القصيرة التى ذاعت شهرتها من خلال مجموعة «الكنز الذهبى» وعنوانها «إلى سيليا» "To Celia" والتى يقول مطلعها:

أشربى لىّ بعينيك فحسبْ،

وأنا بعينى أشرب النخبْ،

أو اتركى قلة فى الكأس ليس إلا،

وإلى خمر لن أتطلع أنا.

وقد كتب جونسون النثر، والنقد الأدبى، وكتابًا فى قواعد اللغة الإنجليزية، وكان مهتمًا بدراسة البلاغة، والسياسة، والدين، وكان تأثيره ولاسيما فى آرائه عن المجتمع والمسرح جليًا فى الأدب الإنجليزى. أما المجال الفنى الذى حظى فيه جونسون بنجاح فائق، وعلاوة على نجاحه فى أشهر أعماله المسرحية «فولبونى» و «الكيميائى» The Alchemist، ١٦١٠، وغيرها، فهو اللون الذى يعرف بـ «الماسك» Masque، وقد برع فيه جونسون براعة لا تماثل. وهو لون من ألوان المسرح الغنائى بدأه جونسون مع تولى الملك جيمس عرش إنجلترا، فكتب فى هذا اللون ما يفوق كل ما كتبه مؤلفو عصره، وكان نجاحه فيه باهرًا. وقد أضفى جونسون على هذا اللون ثراءً دراميًا، وأضاف إليه بإدخاله عناصر فنية ترويحية كان يقوم بأدائها ممثلون وراقصون محترفون. وقد زاد من نجاح هذا اللون تعاون جونسون مع الفنان البارع فى المؤثرات البصرية انجو جونز.

كتب جونسون التراجيديا الرومانية ممثلة فى مسرحيتين، ولكنهما فشلتا، كما فشلت أعماله الأخيرة، إذ أختتم جونسون قائمة أعماله الناجحة عام١٦١٦، وهو العام الذى توفى فيه شكسبير. ومنذ عام ١٦٢٣ بدأت النوازل تلم به؛ احترقت مكتبته فى ذلك العام، وأخفق زواجه الثانى، وبعد وفاة الملك جيمس، وتولى تشارلز الأول العرش عام ١٦٢٥ لم يكن الأخير مهتمًا أو شغوفًا بماسكات جونسون فلم يغدق عليه المنح التى كان يتلقاها من الأول. ثم جاء فشل سلسلة مسرحياته الأخيرة فى الفترة من ١٦٢٩ - ١٦٣٣، ليقضى على ما بقى له من آمال.

بمعاصريه، قليلة، فأبوه توفى قبل شهر من مولده، وتركه لأمه فى حالة من الفقر بعد أن صودرت ممتلكاته فى عهد الملكة مارى، ودخل السجن، وبعد خروجه أنضم للكنيسة لكنه لم يلبث أن رحل من الدنيا. ولد جونسون فى وستمنستر فى أواخر عام ١٥٧٢ أو أوائل ١٥٧٣، وبذا فهو يصغر شكسبير بنحو عشر سنوات. تزوجت أمه من عامل بناء، وعمل هو نفسه صبيًا فى ذات الحرفة فترة من الوقت. ورغم أن جونسون قد حصل على درجات علمية من جامعات اكسفورد وكمبردج فى السنين الأخيرة من حياته، إلا أنه لم يتوفر له حظ التعليم المنتظم إلا على يد ويليام كامدون فى مدرسة وستمنستر، وهو الذى تعهده مما هيأ لجونسون دراسة الآداب الكلاسيكية. فأهداه جونسون أول أعماله الكوميدية الناجحة «كل إنسان وطبعه».

تزوج عام ١٥٩٢ وهولايزال صبىّ صنعةٍ على غير مألوف العادة فى عصره، لكنه سرعان ما هجر الصنعة إلى المسرح. وكما ذكر لأحد أصدقائه، فقد كانت زوجته سليطة حرون لكنها كانت محافظة على شرف زوجها. وقد عاش لسنوات منفصلا عنها - ثم مات له ابن وهو فى سن الطفولة، ومات له ابن آخر من الطاعون الذى كان منتشرًا آنذاك، ولم يبق له سوى ابن وحيد على قيد الحياة عاش من بعده.

ورد اسم جونسون فى قوائم إحدى الفرق المسرحية عام ١٥٩٧، مما يرجح أنه ربما بدأ نشاطه المسرحى ممثلا مثل شكسبير. ومما يروى أن جونسون قدم أول مخطوطات مسرحيته «كل إنسان وطبعه» إلى الفرقة المسرحية التى يعمل فيها شكسبير، وكان الأخير مساهمًا فيها، فكان نصيبها الرفض من مدير الفرقة إلا أن شكسبير استدعاه وقد قرأ المسرحية بنفسه، وقبلها على الفور. فإن صحت هذه الرواية تكون المسرحية قد قدمت للعرض عام ١٥٩٨، وهى المسرحية التى لعب فيها شكسبير نفسه دورًا، كما تدل على ذلك قائمة الممثلين المنشورة مع طبعة أعمال جونسون الصادرة عام ١٦١٠. وقد نجحت المسرحية نجاحًا فوريًا، وتاسست معها شهرة جونسون ككاتب مسرحى ذى قدرة فنية بارعة فى كتابة المسرحية.

أما مسرحيته «المرأة الصامتة» فهى على عكس مسرحيات جونسون الأخرى، كتبها نثرًا، وهو خروج على المألوف فى عصره، إذ أن جل المسرح كان شعرًا إلا ما ندر، وقد مزج شكسبير الشعر وقليل أو كثير من النثر فى بعض مسرحياته لكنه لم يكتب عملا مسرحيًا واحدًانثرًا. ولعل هذا يتفق مع توجهات جونسون الواقعية، ويضفى مصداقية على حواره. ومن الملاحظ أن «المرأة الصامتة» أقل مسرحيات جونسون هجائية، وأقربها إلى روح الفكاهة المتسامحة، وإلى مفهوم جونسون عن الكوميديا، فليس فيها ما فى «فولبونى»، أو «الكيميائى» من شر رغم إقرار جونسون بأن الشر ليس مجاله الكوميديا، ففولبونى وموسكا فى مسرحية «فولبونى» ليسا شخصين نضحك على ما فيهما من نقص فى الطبيعة البشرية، وإنما هما صنف من صنوف المجرمين الأشرار ولا يختلف عنهما بقية الشخصيات فى كثير إلا فى أن الجشع والطمع لا يتجاوزالحماقة إلى الجرم باعتبارهم أقل ذكاءً. أما فى «المرأة الصامتة» فالشخصيات فيها فكهة لا شريرة، «فموروز» رجل لا يتحمل الضجيج ويتمنى أن يعيش فى سكون وصمت. فما هو بالوغد ولا بالأحمق وإنما فيه ما فى البشر من غرائب الطباع. ومن العجب أن انتقاد جونسون لموروز من حيث عدم تحمله الإزعاج ليس له ما يبرره فى منظورنا العصرى، ومفهومنا المعاصر للبيئة، وما نعانيه من تلوثها البصرى والسمعى، ولكن جونسون استطاع أن يوازن بين هذا، وبين إظهار الازدواجية فى شخصية موروز الذى وإن كان يطيق الضجيج من الآخرين، حتى وإن كان مجرد حديث عادى، فهو ذاته كثير الكلام، محبًا له، عاشقًا لثرثرته الشخصية، ويظهر هذا جليًا من التكرار والاستطراد فى حوارته. ليس هناك أوغاد فى المسرحية كما فى مسرحيات جونسون الأخرى، بل إن الشخصيات الرئيسة المحركة للحدث تعتبر استثناءً وتخرج عن إطار النمطية المعروفة فى مسرحه وإن لم يصل فى رسمها إلى سبر أغوارها، ومنها تروويت. وكلريمونت، ويبدو من اسميهما ألمعيتهما لاسيما الأول، الذى يعنى اسمه «النجابة الحقة». وصدق الناقد المسرحى الكبير نيكول الذى وصف هذه المسرحية فى كتابه «الدراما البريطانية»، بقوله «إبيسين كوميديا خالصة بشكل متفرد بين أكثر مسرحيات جونسون مرارة»(٥)، أما الشاعر والمسرحى والناقد الكبير دريدان الذى يقول عن جونسون، فى مقالته الشهيرة «مقالة فى الشعر المسرحى» (١٦٦٨):

بالنسبة لجونسون، اعتقد أنه أكثر كاتب ثقافة

ونجابة حظى به مسرح على الاطلاق.. وإن قارنته

بشكسبير، فلابد وأن أقر بأنه الشاعر الأدق،

.بمعاصريه، قليلة، فأبوه توفى قبل شهر من مولده، وتركه لأمه فى حالة من الفقر بعد أن صودرت ممتلكاته فى عهد الملكة مارى، ودخل السجن، وبعد خروجه أنضم للكنيسة لكنه لم يلبث أن رحل من الدنيا. ولد جونسون فى وستمنستر فى أواخر عام ١٥٧٢ أو أوائل ١٥٧٣، وبذا فهو يصغر شكسبير بنحو عشر سنوات. تزوجت أمه من عامل بناء، وعمل هو نفسه صبيًا فى ذات الحرفة فترة من الوقت. ورغم أن جونسون قد حصل على درجات علمية من جامعات اكسفورد وكمبردج فى السنين الأخيرة من حياته، إلا أنه لم يتوفر له حظ التعليم المنتظم إلا على يد ويليام كامدون فى مدرسة وستمنستر، وهو الذى تعهده مما هيأ لجونسون دراسة الآداب الكلاسيكية. فأهداه جونسون أول أعماله الكوميدية الناجحة «كل إنسان وطبعه».

تزوج عام ١٥٩٢ وهولايزال صبىّ صنعةٍ على غير مألوف العادة فى عصره، لكنه سرعان ما هجر الصنعة إلى المسرح. وكما ذكر لأحد أصدقائه، فقد كانت زوجته سليطة حرون لكنها كانت محافظة على شرف زوجها. وقد عاش لسنوات منفصلا عنها . ثم مات له ابن وهو فى سن الطفولة، ومات له ابن آخر من الطاعون الذى كان منتشرًا آنذاك، ولم يبق له سوى ابن وحيد على قيد الحياة عاش من بعده.

ورد اسم جونسون فى قوائم إحدى الفرق المسرحية عام ١٥٩٧، مما يرجح أنه ربما بدأ نشاطه المسرحى ممثلا مثل شكسبير. ومما يروى أن جونسون قدم أول مخطوطات مسرحيته «كل إنسان وطبعه» إلى الفرقة المسرحية التى يعمل فيها شكسبير، وكان الأخير مساهمًا فيها، فكان نصيبها الرفض من مدير الفرقة إلا أن شكسبير استدعاه وقد قرأ المسرحية بنفسه، وقبلها على الفور. فإن صحت هذه الرواية تكون المسرحية قد قدمت للعرض عام ١٥٩٨، وهى المسرحية التى لعب فيها شكسبير نفسه دورًا، كما تدل على ذلك قائمة الممثلين المنشورة مع طبعة أعمال جونسون الصادرة عام ١٦١٠. وقد نجحت المسرحية نجاحًا فوريًا، وتأسست معها شهرة جونسون ككاتب مسرحى ذى قدرة فنية بارعة فى كتابة المسرحية.

أما مسرحيته «المرأة الصامتة» فهى على عكس مسرحيات جونسون الأخرى، كتبها نثرًا، وهو خروج على المألوف فى عصره، إذ أن جل المسرح كان شعرًا إلا ما ندر، وقد مزج شكسبير الشعر وقليل أو كثير من النثر فى بعض مسرحياته لكنه لم يكتب عملا مسرحيًا واحدًانثرًا. ولعل هذا يتفق مع توجهات جونسون الواقعية، ويضفى مصداقية على حواره. ومن الملاحظ أن «المرأة الصامتة» أقل مسرحيات جونسون هجائية، وأقربها إلى روح الفكاهة المتسامحة، وإلى مفهوم جونسون عن الكوميديا، فليس فيها ما فى «فولبونى»، أو «الكيميائى» من شر رغم إقرار جونسون بأن الشر ليس مجاله الكوميديا، ففولبونى وموسكا فى مسرحية «فولبونى» ليسا شخصين نضحك على ما فيهما من نقص فى الطبيعة البشرية، وإنما هما صنف من صنوف المجرمين الأشرار ولا يختلف عنهما بقية الشخصيات فى كثير إلا فى أن الجشع والطمع لا يتجاوزالحماقة إلى الجرم باعتبارهم أقل ذكاءً. أما فى «المرأة الصامتة» فالشخصيات فيها فكهة لا شريرة، «فموروز» رجل لا يتحمل الضجيج ويتمنى أن يعيش فى سكون وصمت. فما هو بالوغد ولا بالأحمق وإنما فيه ما فى البشر من غرائب الطباع. ومن العجب أن انتقاد جونسون لموروز من حيث عدم تحمله الإزعاج ليس له ما يبرره فى منظورنا العصرى، ومفهومنا المعاصر للبيئة، وما نعانيه من تلوثها البصرى والسمعى، ولكن جونسون استطاع أن يوازن بين هذا، وبين إظهار الازدواجية فى شخصية موروز الذى وإن كان يطيق الضجيج من الآخرين، حتى وإن كان مجرد حديث عادى، فهو ذاته كثير الكلام، محبًا له، عاشقًا لثرثرته الشخصية، ويظهر هذا جليًا من التكرار والاستطراد فى حواراته. ليس هناك أوغاد فى المسرحية كما فى مسرحيات جونسون الأخرى، بل إن الشخصيات الرئيسة المحركة للحدث تعتبر استثناءً وتخرج عن إطار النمطية المعروفة فى مسرحه وإن لم يصل فى رسمها إلى سبر أغوارها، ومنها تروويت، وكلريمونت، ويبدو من اسميهما ألمعيتهما لاسيما الأول، الذى يعنى اسمه «النجابة الحقة». وصدق الناقد المسرحى الكبير نيكول الذى وصف هذه المسرحية فى كتابه «الدراما البريطانية»، بقوله «إبيسين كوميديا خالصة بشكل متفرد بين أكثر مسرحيات جونسون مرارة»(٥)، أما الشاعر والمسرحى والناقد الكبير دريدان الذى يقول عن جونسون، فى مقالته الشهيرة «مقالة فى الشعر المسرحى» (١٦٦٨):

بالنسبة لجونسون، اعتقد أنه أكثر كاتب ثقافة

ونجابة حظى به مسرح على الاطلاق.. وإن قارنته

بشكسبير، فلابد وأن أقر بانه الشاعر الأدق،

لكن شكسبير الذهنية الأبدع. شكسبير هو هوميروس

أو أبو شعرائنا المسرحيين، جونسون هو فيرجيل،

نموذج الكتابة المتانقة، أنا معجب به، لكنى أحب شكسبير(٦).

فى هذه المقالة يقدم دريدان نموذجًا لتحليل عمل مسرحى، فيختار مسرحية «إبيسين أو المرأة الصامتة» لجونسون، ويقول فى نفس الموضع من مقالته «سأتناول نموذجًا لمسرحية تبلغ كمال الإتقان من بن جونسون، الذى كان مطبقًا حاذقًا ومتمكنًا للقواعد المسرحية».

تظهر براعة جونسون الحرفية فى أدواته الفنية فى هذه المسرحية، ومن ذلك حسن التمهيد لدخول وخروج الممثلين على خشبة المسرح، ومثاله (الفصل الأول، المنظر الثالث)، الحوار الذى يدور بين كلريمونت ودوفاين عن السير أموروس لا - فول، فبمجرد ذكر الاسم يدخل الغلام ويعلن، وصلا للحوار، بأن صاحب الاسم موجود بالباب. كذلك تتجلى براعة جونسون فى الحوار الرشيق الذى يجعله ينساب دون أن يفلت منه الحس الفكاهى، والنغمة الساخرة اللاذعة وفى حسن توظيفه لكوميديا الموقف فى أكثر من موضع، كما تظهر فى فهمه الذكى لأوضاع مجتمعة ولطبائع النفس البشرية متجليًا فى رسمه للشخصيات المختلفة.

ويستثمر جونسون فى هذه المسرحية حيلة فنية كانت شائعة فى عصره، وهى حيلة التنكر. ويجدر بالذكر أن هذه الحيلة كانت ضرورة من ضرورات العصر، إذ أن النساء لم يكن يشتركن فى التمثيل على خشبة المسرح، بل كان يقوم بأدوارهن ممثلون رجال، فقيام الرجل بدور المرأة إنما هو واقع مشهود حينئذ. وتتيح هذه الحيلة فرصة طيبة لكوميديا الموقف، إذ يظن المتحاور مع الشخصية المتنكرة أنه يتعامل مع واقع بينما هو فى الحقيقة يتعامل مع وهم خادع ينصب له شباكًا، ومن خلال المفارقة المسرحية يتفجر الموقف الكوميدى. وهو ما نراه، على سبيل المثال، كذلك فى مسرحية شكسبير «الليلة الثانية عشرة» Twelfth Night عندما تتخفى فيولا Viola فى زى فتى، ومثلها روزالند Rosalind فى مسرحيته «كما راق لك» As You Like it. فى مسرحية جونسون، كما فى غيرها تتعدد صور التنكر كما نرى فى حالة المحامى والقس المزيفين الذين حلا شئومًا على رأس موروز، ومن خلالهما يستعرض جونسون ثقافته الكلاسية، فيدير حوارًا ليس بالقليل بينهما فى الفصل الأخير باللاتينية؛ ثقافة جونسون هذه تتجلى كذلك فى إشاراته المتعددة إلى الشعراء والكتاب والنقاد الإغريق والرومان مثل بلوتارك، وبوكاشيو وسينكا وغيرهم. ويجدها جونسون فرصة فيورد رد فعله على موقف المجتمع من الشاعر كما نرى فى بداية المسرحية، ونفهم من ذلك أن الشاعر كان لقبًا غير محبب، ذلك أن الشعراء ومنهم الكتاب المسرحيون، كانوا يعمدون أحيانًا إلى الهجاء سواء على مستواه العام أو الذاتى.

ومن خلال الحوار المسرحى يتضح كذلك موقف جونسون من طائفة لها أهميتها التى تتمثل فى نجاحها فى الوصول إلى كرسى الحكم فى إنجلترا وإعلان الحكم الجمهورى لأول وآخر مرة حتى الآن فى التاريخ البريطانى، ألا وهم «المطهرون»، وكان جونسون يناصبهم العداء. فما ترك فرصة من خلال أعماله إلا وصب عليهم نقده اللاذع. وقد نفهم جانبًا من سر عداء جونسون لهم، فهم فئة تناصب المسرح العداء، وتهاجمه باعتباره «لهوًا شيطانيا»(٧). وكان هجومهم على المسرح جزءًا من حملة أعم بغية نشر الفضيلة. كان المسرح يمثل لهم حضارة وثنية الأصل. بل إنهم ذهبوا إلى الاعتراض على المسرح باعتباره فنًا إيهاميًا. وهو ما رد عليه فيليب سدنى فى مقالته المذكورة آنفًا إذ نفى حتى عن الأطفال إحتمالية الوقوع فى شرك الإيهام، وبأنهم يكونون واعيين بأن ما يشاهدون إنما هو مسرح وتمثيل لا واقع، فما بالنا، كما يقول سدنى، بالرجال والنساء. كذلك كانت مهاجمتهم للمسرح لقيام الممثلين الرجال بأدوار النساء لتشبههم بهن، وهو ما تصدى له الكاتب المسرحى توماس هيوود (١٥٧٣ - ١٦٤١) فى مقالته «دفاع عن الممثلين»، ١٦١٢، يدافع فيها عن قيام الممثل بدور «العذراء»(٨).

ومن القطاعات التى يوجه جونسون إليها نقده، سيدات الطبقة الراقية والمتطلعات من البورجوازية إلى تقليدهن فى تصرفاتهن وملبسهن، ومبالغتهن فى التزين، والحرية التى تصل إلى حد التسيب فى العلاقات، كما ينتقد جونسون رجال هذه الطبقات المؤثرة الذين لا هم لهم إلا مضيعة الوقت فى اللهو والعبث والملبس الأنيق ورهونات الخيل الصاخبة الماجنة؛ يمزج جونسون هذا كله ببعض التعبيرات التلقينية المباشرة للحث على الفضيلة، ولكنها فى هذه المسرحية على وجه الخصوص لا تؤثر سلبًا على فنية المسرحين ولا تعكر صفاءها

الكوميدى. إذ أنه يقدم ذلك كله من خلال كوميديا الموقف والحيل والحوار الزكى.

ولعله من مزايا المسرحية الحقة أن تكثيفها فى سطور تلخص حبكتها لا علاقة له بالمقومات الفنية الحقيقية للمسرحية. فكما تستعصى القصيدة الشعرية القيمة على التنثير، يستحيل علينا تلخيص «المرأة الصامتة» فى «حدوتة» باعتبار أن الحبكة متلازمة وملتحمة مع كل المواقف فى نسيج الكوميديا المتكامل.

المترجم

الهوامش :

(١) Aristotle's Poetics, ed. John Warrington, London: J. M. Dent & Sons Ltd., 1969, PP. 10-11.

(٢) Classical Literary Criticism, ed. & trans., T. S. Dorsch, Harmondsowrth: Penguin Books Ltd., 1978, P. 90.

(٣) راجع مقدمتنا لمسرحية عطلة الإسكافى التى ترجمناها لسلسلة المسرح العالمى، الكويت، العدد ٢٠٥.

(٤) Sir Philip Sidney, An Apology for Poetry, ed., Geoffery Shepherd, Edinburgh: Thomas Nelson & Sons Lte., 1978, P. 117.

(٥) A-Nicoll, British Drama, London: George G. Harrap & Co., Ltd., 1962, P. 100.

(٦) John Dryden, «An Essay of Dramatic Poesy» in English Critical Essays from Sidney to shelley, Cairo: The Anglo Egyptian Book shop, 1974, P. 185.

(٧) L. G. Salingar, «The Social Setting, in The Age of Shakespeare, ed. Boris Ford, the Pelican Guide to English Literature, Vol. II, Harmondsworth: Penguin Books, Lte., 1980 edition, P. 36.

(٨) John Heywood, «An Apology for Actors,» The Seventeenth Century Stage, ed. G. E Bentley, .Chicago: The University of Chicago, 1968, P. 113.

المرآة الصامتة

الشخصيات

موروز : جنلمان لا يطيق اى ضجيج	MOROSE
دوفاين ايوجينى: فارس، ابن اخته	DAUPHINE EUGENIE
كلريمونت: جنتلمان، صديقه	CLERIMONT
ترووت: صديق آخر	TRUEWIT
ابيسين: جنتلمان شاب، المراة الصامتة المفترضة	EPICOENE
جون دوو: فارس، محبها	JOHN DAW
أموروس لا ـ فول: فارس ايضًا	AMOROUS LA FOOLE
توماس أوتر: كابتن فى البر والبحر	THOMAS OTTER
كتبيرد: حلاق	CUTBEARD
ميوت: أحد خدم موروز	MUTE
مدام هويتى	MADAME HAUGHTY
مدام سنيتور سيدات الرابطة	MADAME CENTAURE
السيدة ميفس	MISTRESS MAVIS
السيدة تريستى: وصيفة ليدى هويتى	MISTRESS TRUSTY
السيدة أوتر، زوجة الكابتن متكلفتان	MISTRESS OTTEER
قس، غلمان، خدم، (موسيقيون)	Parson, Pages, Servants, (mus ic ians)

المنظر: لندن

إلى النبيل الحق
بجدارة كل الألقاب
السير فرانسيس ستيورات

سيدى،

لم يحدث أن اشتد الأمل عندى على نحوه هذا إن كان سيتأتى لهذا العمل الأبكم[1] أن يدخل عليكم السرور. ذلك أنه قد سرّ آخرين من قبل. والصدق أنك إذا ما إنتهيت من قراءته، فستجده جديرًا بألا يثير استياءً. وهذا ما يدفعنى إلى اختياركم، لا من منطلق نعوت العرفان وحسب، وإنما من أوصاف العدل لما أكتب، وإنى الآن أدعوكم أن تمارسوا أنبل الفضائل وأرقاها رجولة، تواقًا لأن أنطلق فى سمعتي من سلطة قاض لا بمهمة كفيل. فاقرأ، إذن، أرجوك، وأحكم. فما من سطر أو مقطع فيها قد تبدل عن تلقائية الكتابة الأولى[2]. وعندما يتبين لكم الكراهية الأكيدة للبعض كيف يمكن أن تتعرض براءة إنسان لخطر اتهام غير متيقن، فإنكم، دون ريب، ستبدأون تكرهون ما فى هذه الطبائع من جور بالقدر الذى أهوى أنا به النقد الموجه لىّ، والذى كان مآله شرفًا لىّ أن تمحوه أنتم بحكمكم.

محبكم فقير العطاء إلا من الصدق،

بن جونسون

مفتتح

تظهر الحقيقة، انه من غابر الأزمان، كان فن كتابة المسرحيات يهدف لمسرة الناس، وكان إطراؤهم للشاعر مالا وخمرًا وأكاليل غار. بيد أن هناك فى هذا العصر طائفة من الكتّاب، بالنفع الخاص فحسب يبالون، وما هم بذائقين طعمًا لما هو عام. مع هؤلاء لا تمتزج لنا مشاعر أو أفكار، فمطامحنا كمن يقيمون المآدب لكل الناس، لا يبغون إرضاء ذوق الطباخ بل الأضياف[3]. ولكن إن يأت ذوو الأذواق الرفيعة هاهنا فسيلقون ترحيب الضيوف، ورحب المكان،

ورغم أنهم بكل ما فيها لن يستمتعوا، فلا ريب أن بعضًا سيسرهم، فإذا ما آن لهم إخلاء مقاعدهم، فسيدفعهم هذا ليقولوا إن الذى كتب هذا العمل، قد استطاع به أن يكتب مسرحية، ذاك أنه قد عرف أن هذا هو الطريق الأمثل. لأنك إن قدمت كل الكسترد، أو كل فطائر الفاكهة، ولا يبقى لديك أطباق أخرى بها تشارك، أو إن كان ينقصك الخبز، أو الملح، فما هذا إلا فنًا رديئًا، إن الشاعر ليرجوكم إذن أن تجلسوا بنية حسنة، وعندما تأتى كل أطباقه المنتقاة، رغم أنه ما من شىء من الخارج مجلوب، فسيكون هناك ثمين يشترى. منه ما يناسب السيدات: بعض للورادات، والفرسان والأتباع، بعض لخادماتكم، ولنساء المدينة، بعض لرجالكم وبناتكم من «وايت فرايرز»[4]. وما تقتصر مأدبته على فترة جلوسكم هاهنا، وإنما سوف تطعمون أسبوعًا فى المأكل[5] من بقايا أطباقه: إن كانت ربة إلهامه، التى تضع نفسها بين أيديكم، صادقة،

مفتتح آخر
أوجبه انتقاد شخص بلا مبرر

مبتغى كل من للمسرح يكتبون، إنما هو، أو ينبغى أن يكون، التوجيه وجلب السرور، كان هذا يحظى بالاستحسان فى أحسن الأزمان، طالما لا يمس أناسًا ينزعون نحو ارتكاب الجرائم، إذن، فى هذه المسرحية التى نعرضها الليلة، ونضعها تحت حكم أسماعكم وأبصاركم، ولتكونوا من أنفسكم فى مأمن؛ فلا تظنوا فيها شيئًا من الواقع: والا جعلته من مؤلفها حكمًا عليكم. لإنه يدرك أن الشاعر لا ينال أبدًا شهرة بكتابة الحقائق، وإنما ما شابه الحقائق فى تمويه حاذق. فإذا ما لوى أحد ذراع ما قد كتب بغية انطباق (على واقع) وأنه قصد هذا أو ذاك فإنما هو قائل يشوه سمعة من هو للمسرح كاتب،

الفصل الأول

المنظر الأول

(يدخل) كلريمونت ـ يظهر وهو يهندم نفسه، (يتبعه) غلام

كلريمونت: هل حفظت الأغنية، التى أعطيتها لك، جيدًا، ياولد؟

الغلام: نعم، ياسيدى.

كلريمونت: أسمعنى إياها.

الغلام: سوف تسمعها، ياسيدى، لكن أرجوك لا تدع أحدًا سواك.

كلريمونت: لماذا، أفهمنى.

الغلام: ستلصق بك اللقب الخطير كشاعر فى المدينة(٦)، ياسيدى، علاوة على أن هناك قدرًا كبيرًا من سوء القصد فى البيت الذى تعرفه، والذى صاحبته هى مثار الأمر، حيث أكون على رأس المرحب بهم من المترددين عليه ممن هم دون الرجال(٧).

كلريمونت: وأظن فوق الرجال أيضا إن نزعت الحقيقة منك.

الغلام: لا، أرجوك، سأعترف قبل ذلك، ياسيدى. النسوة يلعبن معى، ويلقين بىّ على السرير، ويحملننى إلى سيدتى فى الداخل، وهى تقبلنى بوجهها المزيت، وتضع باروكة على رأسى، وتسألنى إن كنت سأرتدى ثوبها؟ وأنا أقول: لا، ثم تقرصننى فى أذنى، وتدعوننى غرًا، وتتركنى أنصرف.

كلريمونت: لا عجب أن يبقى الباب موصدًا فى وجه سيدك، عندما يكون الدخول سهلا عليك. حسنًا، ياولد، لن تذهب هناك بعد اليوم، حتى لا أضطر للبحث أسبوعين عن صوتك بين أسل الليدى(٨) هيا، غن، ياولد.

الغلام يغنى

(يدخل ترووت)

ترووت: إذن هاهو الرجل الذى يمكن أن يضيّع وقته، ولا يشعر به أبدًا يقضيه ما بين محبوبته خارج البيت وبين غلامه داخله، دخل كبير، وفراش وثير، وملابس أنيقة، وآلة كمانه، ظانًا أن الساعات بلا أجنحة، أو أن اليوم فرس بغير مربط. جميل، أيها السيد المتأنق، لو أنك إبتليت بالطاعون فى هذه اللحظة، أو أُدِنْتَ بعقوبة الإعدام غدًا، فستبدأ حينها فى التفكير وتقدر كل دقيقة من وقتك، تزنها بميزانها الحقيقى، ولا تبالى بسواها.

كلريمونت: وماذا يجب على الواحد أن يفعل؟

ترووت: لا شىء، أو ما يكون عند إتمامه عديم النفع ـ تستقر عما يجد فى سباق الخيل، أو مباريات القنص، تدخل فى رهونات، تمدح «بيبى»، أو «بيبر كورن»، أو «وايت فوت»؛ «فرانكلين»(٩)، تقسم على فوز «وايتمانى»، ترفع عقيرتك لعل اللوردات يسمعونك، تزور السيدات بالليل، ويكون بإمكانك أن تشخص لهم كل لاعب كريكته، أو مراهن على الأخضر. هذه هى الأشياء التى يمارسها أصحابك العصريون، وأنا معهم.

كلريمونت: لا، إن كان لىّ حجتك، فلم يأن الأوان لأقلع عن هذا. هلم، هذه اعتبارات ندركها عندما يأتى وقت تشيب فيه رؤسنا، وتضعف سيقاننا، وتندى عيوننا، وتنكمش أطرافنا، حينها سنفكر فى هذا، وسنصلى ونصوم.

ترووت: نعم، ونخصص ذلك الوقت فقط من العمر للصلاح حين لا يتيح لنا وهن أبداننا ارتكاب المعاصى.

كلريمونت: إذن لايزال هناك وقت كاف.

ترووت: نعم، كأن على المرء أن ينام طول الموسم(١٠). ويفكر فى إنجاز عمله فى آخر يوم. آه، ياكلريمونت، ذاك الوقت حيث أنه وقت الروحانيات، وهو ما يعرضه للتأثر بالحس، فإننا نسخر من أنفسنا إلى أقصى حد، بتفاهة وبؤس حقا! لا نسعى لوضع نهاية للبؤس، وإنما نبدل الموضوع باستمرار.

كلريمونت: لا، لاترحل الآن ـ

ترووت: انظر فقط داءنا الشائع(١١)! بأى وجه حق يمكن أن نشكو من أن ذوى الشأن لا ينظرون فى أحوالنا، أو لا يتفرغون لإنجاز أمورنا بالسرعة التى نأملها، بينما نحن لا نفعل ذلك أبدًا لأنفسنا. ولا نصغى ولا نقدر ذواتنا.

كلريمونت: اف، لقد تلوت «أخلاقيات» بلوتارك، الآن، أو ذاك الرفيق الممل(١٢)، وصدورها منك غاية فى السوء! أقسم بالله إنها سوف تفسد ذكاءك تمامًا. كلمنى عن الدبابيس، والرياش(١٣)، والسيدات، والمغامرات، وما أشبه، ودع هذه الرواقية جانبًا إلى وقت أن تصبح واعظًا.

ترووت: حسنًا، ياسيدى، إن لم تنفع، فقد علمتنى أن أفقد أقل ما يمكن من طيبتى. لن أسدى خيرًا لرجل رغم أنفه، بالتأكيد. متى كنت فى الرابطة؟

كلريمونت: أية رابطة؟

ترووت: كأنك لا تعرف!

كلريمونت: لا، صدقنى، لقد عدت من القصر أمس فقط.

ترووت: كيف، ألم يصل الخبر هناك بعد؟ إنها جمعية جديدة،

ياسيدى، هنا فى المدينة، من السيدات اللائى يسمين أنفسهن عضوات الرابطة؛ نظام وسط بين سيدات القصر ونسوة الأرياف، منفصلات عن أزواجهن، ويقمن باستضافة كل فطناء ومتأنقى العصر كما يطلقن عليهم، يخفضن أو يرفعن من شأن ما يحببن أو يكرهن فى عقلية أو موضة بأقصى سلطة رجولية، أو حتى لما بين الجنسين. وفى كل يوم تنضم لرابطتهم عضوة جديدة.

كلريمونت: ومن تكون الرئيسة؟

تроووت: السيدة الوقور الشابة ليدى هويتى.

كلريمونت: داهية فى وجهها المتغض وجمالها الملصق! هذه الأيام لا يسمح لرجل بالدخول عليها إلا وهى على أهبة الاستعداد، وقد إنتهت من وضع صبغها، وتعطرت، واغتسلت، وحكت نفسها(١٤). ولا يستثنى أحد إلا هذا الولد الذى تمسح فيه شفتيها المزينتين مثل أسفنجة. لقد ألفت أغنية عن هذا الموضوع، أرجو أن تسمعها.

الغلام يغنى

دائمًا تتألقين، دائمًا فى ثيابك تتهندمين كما لو كنت إلى حفل ذاهبة، دائمًا تضعين المساحيق، دائمًا تتعطرين، سيدتى، مما به يسلم، أنه وإن كانت أسرار الزينة لا تتكشف، فما هذا كله بجميل، ما هذا كله بسوى، طالعينى بنظرة، طالعينى بمحيا يجعلان البساطة فضيلة، أرواب تنساب فضفاضة، شعر طليق؛ مثل هذه العفوية الحلوة تأسرنى أكثر من كل ما فى التزين من غش فإنه يبهر عينى، لكنه لا يمس قلبى.

تروووت: أما أنا صراحة فمن أصحاب الرأى الآخر: فأنا أفضل التزين الجيد على أى جمال طبيعى. أوه، المرأة تكون وقتها مثل حديقة جميلة، لا تكون ثابتة على شكل واحد؛ فيمكن أن تتغير كل ساعة، تستأنس دائمًا بنصيحة مرآتها، وتختار الأحسن. إن يكن لها أذنان حلوتان، تظهرهما، شعر جميل تفرده، ساقان مصبوبتان، تلبس ثيابًا قصيرة، يد ناعمة تكشفها دائمًا: تلجأ لأى وسيله لتطيب رائحة فمها، تنظف أسنانها، تصلح حاجبيها، وتستعمل الأصباغ، وتبين عن ذلك.

كلريمونت: كيف؟ على الملأ؟

تروووت: الفعل ذاته، لا الأسلوب، هو ما ينبغى أن يبقى سرًا. إن أشياء كثيرة، قد تبدو قبيحة أثناء أدائها، يكون لها وقع حسن. على السيدة أن تتفحص وجهها وقت نظن أنها نائمة، كذلك لا يجب السماح للرجال بالسؤال عنها عندما تكون الأبواب مغلقة، كل شىء يكون وقتها مقدسًا فى الداخل، هل من حقنا أن نراهن حين يضعن الباروكات على رؤسهن، أو أطقم أسنانهن، أو زينة بشهرتهن، أو حواجبهن الصناعية، أو اظافرهن؟ أنت ترى كيف أن صائغى الذهب لا يعملون إلا فى مدارة: لا يجب أن يكشفوا كيف أن القليل مع الاستعانة بالصنعة يمكن أن يزين إلى هذا الحد. كما استغرق عمل «الكانفاه»(١٥)، قبل أن تعلق فى «اولدجيت»؟(١٦)، هل كلف الناس أنفسهم برؤية تماثيل الحب والخير(١٧)، فى المدينة عندما كانت مجرد أحجار صلدة، قبل أن تتشكل وتصقل؟ لا، لا يجوز للمحبين أن يقتربوا من حبيباتهم إلا عندما يكن جاهزات ومتأهبات.

كلريمونت: احسنت، ياتروووت.

تروووت: والسيدة العاقلة هى التى تضع دائمًا حارسًا على المكان، فربما رغبت فى القيام بأعمال فى السر. أنا، ذات مرة، تتبعت رجلا قليل الأدب إلى داخل إحدى الغرف حيث شدت المرأة المسكينة، من الاستعجال والارتباك، باروكتها لتغطى صلعتها، فوضعتها بالمقلوب.

كلريمونت: يااللعجب!

تروووت: والوغد عديم الضمير ظل يمدحها ساعة وهى بهذا الوجه المقلوب، وأنا واقف أرقب بينما هى تتكلم من الناحية الأخرى.

كلريمونت: كان ينبغى عليك أن تريحها من هذا.

تروووت: لا؛ فى الحقيقة لقد تركتها لحالها، كما يجب أن نترك هذا الموضوع إن سمحت، وندخل فى حديث آخر. متى رأيت دوفاين يوجينى؟

كلريمونت: لم أره منذ ثلاثة أيام. هل نذهب إليه هذا الصباح؟ سمعت أنه مكتئب جدًا.

تروووت: مريض بسبب خاله(١٨)، اليس كذلك؟ لقد قابلت أمس هذه الكتلة المتصلبة من التكلف، خاله، وهو يضع على رأسه قلنسوة ضخمة من تلفيحات النوم(١٩)، ملفوفة حول أذنيه.

كلريمونت: أوه، هذه عادته عندما يمشى فى الخارج. إنه لا يتحمل أى صخب، يارجل.

تروووت : هذا ما سمعته. لكن هل حالته على هذا النحو المضحك كما يذاع؟ إنهم يقولون إنه عقد عدة اتفاقات مع زوجات الصيادين، وبائعات البرتقال(٢٠)، وأن بنودًا قد تم التوصل إليها فيما بينهم، منها مثلا، أنه يحظر الدخول على عمال تنظيف المداخن.

كلريمونت : ولا بائعى الوزال(٢١). إنهم يقفون فى الخارج بلا حراك. إنه لا يتحمل بائعى الفاكهة، يغمى عليه لو سمع واحدًا.

تروووت : أظن أن الحداد نذير شؤم عليه.

كلريمونت : أو أى عامل معادن. لا يسمح للنحاس بأن يسكن فى الأبرشية، ولا لصانع الدروع. لقد كاد يشنق يومًا صبى عامل «بيوترن»(٢٢)، بسبب صخب «ثلاثاء المرافع»(٢٣)، لانتسابه لهذه الحرفة، حين فر الباقون.

تروووت : لابد وأن البوق يفزعه بشدة، أو المزامير.

كلريمونت : تخرجه عن وعيه، موسيقيو الشوارع يتقاضون منه معاشًا حتى لا يقتربوا من هذه الناحية. فى ليلة لعب عليه أحد الغلمان دون حارس ليلى(٢٤)، ولم يتركه إلا عندما أنزله إلى باب الدار وهو يحمل سيفًا كبيرًا، وتركه هناك يرفرف فى الهواء.

الغلام : كذلك، ياسيدى، اختار لسكناه شارعًا ضيقًا جدًا من الناحيتين حتى لا يكون به متسع لمرور أية عربات أو كارات، ولا لأى مصدر من مصادر الصخب المألوفة: ولذلك فنحن الذين نحبه، ندبر ما أمكننا حيلا بين الحين والحين ليتعود على مثل هذه المواقف من أجل أن ننشطه، وإلا أصبح خاملا فى دعته،وتصدأ حيوية رجولته تدريجيًا من قلة الشحذ. لقد طلبت يومًا من حارس دببة أن يأتى بكلاب نحو أربع أبرشيات إلى هذه الناحية، وأشكره على أنه قد فعل، وراح يقدم ألعابه تحت نافذة السيد موروز، حتى طرد وهو يعوى، ورأسه تنزف فى أكبر مشهد دامى أمام الخلق. ومرة أخرى، كان هناك مبارز يسير إلى موضع مبارزته(٢٥)، فأصابه الطبل بالهلع بعد أن أغريت الرجل بأن يسلك هذا الطريق.

تروووت : ياله من مضحك ظريف! وما رأيه فى الأجراس؟

كلريمونت : أوه، فى أيام الملكة كان يجب الخروج من المدينة كل يوم سبت فى الساعة العاشرة، أو فى عشيات الأيام المقدسة(٢٦). ولكن الآن بسبب المرض(٢٧) فإن استمرار قرع الاجراس جعله يبتكر حجرة ذات حوائط مضاعفة وسقف ثلاثى؛ النوافذ مغلقة ومسدودة. ويعيش هناك على ضوء الشموع. لقد طرد خادمًا الاسبوع الماضى لأنه اشترى حذاءً جديدًا كان «يصدر صوتًا» هذا الرجل يقوم على خدمته الآن مرتديًا جوارب ملاعب التنس(٢٨)، أو صنادل بنعل من الصوف، ويتكلمان مع بعضهما البعض عبر أنبوب(٢٩) - انظر، من القادم هنا!

الفصل الأول : المنظر الثانى

(يدخل) دوفاين

دوفاين : ما الحكاية؟ ماذا أصابكما ياسادة؟ خرستما؟

تروووت : أنا تقريبًا استحلت حجرًا من حكايات خالك وأنا أقف هنا. لم يسمع أحد مطلقًا عن أعجوبة كهذا(٣٠).

دوفاين : أتمنى أن تنسوا هذا الموضوع بالمرة، ياسادتى، لأجل خاطرى، الناس أمثالكم هم الذين أوقعونى فى هذه الورطة معه.

تروووت : كيف؟

دوفاين : حسنًا، كل ما فى الأمر أنه سيحرمنى من الميراث. نظن أننى وأصحابى الذين ألفنا الحكايات المضحكة والنوادر التى تروى عنه.

تروووت : والله لوكنت أنا، لدبرت له المزيد لأغيظه، هذه الغاية(٣١) تستحق ذلك. إنها تجيز لك أن تنكد عليه. سأخبرك ما كنت لأفعل: كنت أعددت روزنامة مزيفة، وطبعتها، ثم استدرجته للخارج فى يوم التتويج عند تاور - وورف(٣٢)، وقتلته بضجيج المدافع. يحرمك من الميراث! لا يستطيع، يارجل. ألست أقرب صلة رحم له، وابن أخته؟

دوفاين : بلى، لكنه أقسم أن يخلعنى منها، ويتزوج.

تروووت : ماذا! هذا عجب أشد. لا يتحمل أى صخب، ويجروء على اتخاذ زوجة؟

كلريمونت : نعم: يبدو أنك جاهل بأبدع ما توصل إليه من حيل. لقد وظف رجلا من ستة أشهر ليبحث له فى إنجلترا طولا وعرضًا عن امرأة بكماء، ليكن شكلها أو قدرها أيا كان، على أن تكون قادرة على إنجاب الأطفال: صمتها مهر كاف(٣٣)، كما يقول.

تروووت : أدعو الله ألا يعثر على واحدة.

كلريمونت : لا، فقد سمع عن واحدة تسكن فى الشارع المجاور له، وهى رقيقة جدًا فى الحديث، مقتصدة فى كلامها، لا

تتكلم أكثر من ست كلمات فى اليوم. وهو يجتهد فى الوصول إليها الآن، وسوف يحظى بها.

ترووت : هل هذا معقول! ومن وسيطه فى الموضوع؟

كلريمونت: فى الحقيقة، حلاق يدعى «كتبيرد»، رجل مخلص يحكى كل شىء لدوفاين.

ترووت : لماذا تحيرنى بهذا العجب! امرأة، وحلاق، ولا يطيق الصخب!

كلريمونت: نعم، صدقنى. الرجل يزينه فى صمت، ولا يطقطق، لا بمقصه ولا بأصبعه(٣٤). وهويرى أن هذه المقدرة فى حلاق إنما هى فضيلة كبرى، مما دفعه لأن يأتمنه على أدق أسراره.

ترووت : هل يمكن رؤية الحلاق أو المرأة؟

كلريمونت: نعم، هذا ممكن.

ترووت : أرجوك، يادوفاين، لنذهب إلى هناك.

دوفاين : أنا مشغول الآن: لا أستطيع، صدقنى.

ترووت : ليس هناك أى شاغل يجعلك تهمل مثل هذا الأمر، ياسيدى. سنجعلها تتكلم، صدقنى، وإن لم تفعل، فيمكننا على الأقل أن نذيع الشىء الكثير الذى يعطل الاتفاق(٣٥)، سوف نفسده. ضميرك يلزمك أن تنكد عليه حين يرتاب فيك دون داع.

دوفاين : ليس أنا، بأى حال. لن أوافق على هذا. لن أكون له الحجة علىّ مطلقًا بأننى قد وقفت عقبة فى وجه أدنى خواطره. ليقع الذنب على عاتق نجومى(٣٦)، وأكون أنا بريئًا.

ترووت : نعم، وتكون فقيرًا، وتشحذ، افعل، برىء: عندما ينجب له خادم وريثًا، أو هذا الحلاق، إن لم يستطع هو بنفسه. برىء! أرجوك، يافيد، أين تسكن؟ دعه يبقى على براءته دائمًا.

كلريمونت: مقابل الحلاق مباشرة، فى المنزل الذى يسكن فيه السير جون دوو.

ترووت : أنت لا تقصد أن تصعقنى!

كلريمونت: لماذا؟

ترووت : وهل يعرف من ينوى أن يتزوجها كل هذا؟

كلريمونت: لا أعرف.

ترووت : هذا يكفى أن تكون متهمة فى نظره.

كلريمونت: لماذا؟

ترووت : هذا الثرثار الأول فى المدينة! جاك دوو! وهو الذى يعلمها ألا تتكلم! كان الله فى عونكما. أنا أيضا عندى بعض المشاغل.

كلريمونت: لن تذهب إلى هناك إذن؟

ترووت : لا أجازف بمقابلة دوو حرصًا على أذنى.

كلريمونت: لماذا، ظننت أنكما على وفاق.

ترووت : نعم، من بعيد لبعيد.

كلريمونت: يقولون إنه علامة.

ترووت : نعم، وهو يقولها قبلهم. داهية تأخذه، رجل يدعى العلم ليس إلا، يشترى القابًا، وعدا ذلك فلا شىء من العلم فى جعبته.

كلريمونت: يذيع العالم أنه مثقف جدًا.

ترووت: يؤسفنى أن العالم يتآمر إلى هذا الحد بترويج هذا الإدعاء منه.

كلريمونت: أقسم إنى سمعت منه قولا سديدًا بليغًا.

ترووت : ربما، لا يوجد جاهل بهذا السوء ينكر هذا: إن ودوا أن يكونوا مكانه. كان الله فى عونكم، ياسادة.

(يخرج مسرعًا)

كلريمونت: مستعجل جدًا!

الفصل الأول ـ المنظر الثالث

دوفاين : اسمع، أنت رجل منفلت اللسان بشكل غريب حتى تحكى كل شىء هكذا.

كلريمونت: صدقنى يادوفاين، ترووت رجل مخلص جدًا.

دوفاين : أنا لا أظن فيه غير هذا، لكن طبيعته الصريحة لا تصلح لكتمان الأسرار.

كلريمونت: لا، أنت مخطىء إذن، يادوفاين: أنا أعرف أين كان مصدر ثقة تامة، وحفظ الثقة بكل إخلاص وحدية.

دوفاين : أنا لا أعترض يانيد، لكن كلما قل من ينجز الأمر عددًا، كلما كان أكثر أمنًا. الآن، نحن وحدنا، إن ذهبت هناك(٣٧)، فأنا معك.

كلريمونت: متى كنت هناك؟

دوفاين : ليلة أمس، وقد حدث موقف هزلى رائع. بوكاشيو لم يخطر له هذا مطلقًا(٣٨). لم يكن دوو يفعل شيئًا إلا مغازلتها، وبالطريقة المعكوسة يريد أن يضاجعها، فيمدح احتشامها، يتمنى أن تتكلم وتصبح طليقة، فيمتدح صمتها فى أشعار يقرأها ويقول إنها أحسن ما قاله بشر على الإطلاق، ثم يندب حظه، ويخبط الأرض، ويتذمر لأنه لم يتم اختياره مستشارًا ويُعهد إليه بشأن من شئون الدولة.

كلريمونت: أرجوك، هيا بنا. لابد أن أشارك فى هذا ـ جهز لنا قاربًا، ياولد.

(يخرج الغلام)

دوفاين: نحن مدعوان على العشاء معًا، هو وأنا، عند واحد جاءه هناك، السير لا فول.

كلريمونت: أوه، ذلك الدمية المتأنقة[٣٩].

دوفاين: وهل تعرفه؟

كلريمونت: نعم، وسيعرفك أنت أيضًا لو كان قد رآك مرة واحدة حتى وإن كنت قد قابلته فى كنيسة بين جموع المصلين. إنه واحد من المتأنفين، لكنه ليس من الفطناء يمكن أن يحيى قاضيًا وهو على المنصة، أو قسًا وهو على المذبح، أو محاميًا وهو يترافع فى المحكمة، أو سيدة وهى ترقص فى حفلة تنكرية وينسيها دورها[٤٠]. إنه يقدم المسرحيات[٤١]، ويقيم مآدب العشاء، ويدعو لها ضيوفه بصوت عال من نافذته وهم يمرون فى عرباتهم. لديه مسكن فى «الستراند»[٤٢] لهذا الغرض أو أنه يترقب السيدات وهن ذاهبات إلى المتاجر الصينية[٤٣] - أو البورصة، فربما يقابلهن بالصدفة، فيقدم لهن الهدايا بما قيمته مائتا أو ثلاثمائة جنيه من المسليات لإثارة الضحك. لايبقى مطلقًا دون مآدبة أو حلوى فى غرفته للنساء اللائى يترجلن ويصعدن لأجل تلك المغريات.

دوفاين: ممتاز! كان شابًا لطيفًا الليلة الماضية، أما الآن فهو ألطف بكثير! ما اسمه الأول؟ لقد نسيت.

(يدخل الغلام)

كلريمونت: سير أموروس لا - فول.

الغلام: السيد صاحب هذا الاسم موجود هنا تحت.

كلريمونت: ياقلبى. لقد جاء ليدعونى إلى العشاء، أراهن بحياتى.

دوفاين: محتمل جدًا، أرجوك، لندعه يصعد.

كلريمونت: ياولد، قده للداخل.

الغلام: بعصا، ياسيدى[٤٤].

كلريمونت: بسرعة، هيا. (يخرج الغلام) - سأجعله يحكى لنا الآن عن أصله، وأى طعام سيقدمه على العشاء، ومن هم ضيوفه، وكل مسار حظوظه، فى نفس واحد.

الفصل الأول. المنظر الرابع

(يدخل) لا. فول

لا. فول: يحفظكما الله، ياعزيزى السير دوفاين، والسيد الفاضل كلريمونت.

كلريمونت: سير أموروس! لقد شرفت بيتى كثيرًا بحضورك.

لا. فول: فى الحقيقة، إنه بيت جميل: تقريبًا فى جمال بيتى.

كلريمونت: ليس لهذه الدرجة، ياسيدى.

لا. فول: اسمح لى، ياسيدى، لو كان فى الستراند، لكان كذلك، أؤكد لك. لقد جئت ياسيد كلريمونت لأطلب منك أن تقوم على خدمة سيدتين أو ثلاث على العشاء الليلة.

كلريمونت: ماذا، ياسيدى! أقوم على خدمتهن؟ هل - عمرك - رأيتنى أحمل أطباقًا؟

لا. فول: لا، ياسيدى، لا تؤاخذنى؛ إنما قصدت أن تكون بصحبتهن.

كلريمونت: أوه، هذا أقوم به، ياسيدى. صدقنى، إن اللبس الذى تحدثه عباراتك سيتسبب يومًا فى وقوع مشاجرة مع الأولاد الأشقياء[٤٥]، إن صاحبتهم يومًا واحدًا فقط.

لا. فول: سيكون هذا ضد رغبتى تمامًا،ياسيدى، إن تعاركت مع أى رجل.

كلريمونت: أصدقك ياسيدى، وأين ستقيم مآدبتك؟

لا. فول: عند توم أوتر، ياسيدى.

دوفاين: توم أوتر! ومن يكون؟

لا. فول: كابتن أوتر، ياسيدى: إنه من النوع المقامر، لكنه كان قائدًا فى البر والبحر.

دوفاين: أوه، إذن هو كائن برمائى.

لا. فول: نعم، ياسيدى. زوجته صاحبة المتاجر الصينية الثرية، ورجال القصر يزورنها دائمًا، وهى تقدم ضيافة ممتازة[٤٦]. إنها تتحكم فى كل شىء فى البيت.

كلريمونت: إذن هى كابتن أوتر.

لا. فول: أنت محق تمامًا، ياسيدى. إنها قريبتى، لا - فول من ناحية الأم، وستدعو كل عليات القوم لأجل خاطرى.

دوفاين: أليست من لا - فول فرع - اسيكس؟

لا. فول: لا، ياسيدى، لا - فول فرع - لندن.

كلريمونت: (جانبًا لدوفاين) بدأ الآن.

لا. فول: كلهم إنحدروا من عائلتنا، لا - فول الشمال، لا - فول الغرب، لا - فول الشرق والجنوب - نحن عائلة عريقة كأعرق عائلة فى أوروبا - إنما أنا نفسى إنحدرت من فرع لا - فول الفرنسى - ونحن نتميز بشعار نبالتنا الأصفر، واللازوردى[٤٧]، الكاروهات والأحمر، وثلاثة أو أربعة ألوان أخرى[٤٨]. وهو شعار مميز جدًا، وكان يتحلى به فيما مضى، وعليهم سمت الوقار - لكن دعنا من هذا، فالعراقة لاتحترم الآن - عندى زوج من الطيور

السمينة، أهدى لىّ، ياسادة، ونصف دستة من طيور التدرج(٤٩)، ودستة أو اثنتان من الليموزية(٥٠)، ودستة أخرى من الديوك، التى أود أن أطعم منها وهى فى حالة طيبة مع صحبة طيبة ـ سيكون هناك بعض السيدات من عليه القوم، الليدى هويتى، والليدى سنتيور، والسيدة دول ميفس ـ وسوف يأتين لرؤية السيدة الصامتة، السيدة أبيسين، التى وعد السير الامين جون دوو أن يأتى بها إلى هناك، كذلك السيدة تريستى، وصيفة سيدتى الليدى، ستكون هناك أيضًا وهذا الفارس الفاضل، سير دوفاين، معك أنت، ياسيد كلريمونت وسنكون مسرورين جدًا، وسيكون هناك عزف على الكمان ورقص. أنا كنت ولدًا طائشًا فى شبابى، وأنفقت الكثير من الكرونات(٥١)وقت أن كنت غلامًا فى قصر سيدى اللورد لوفتى. وبعد ذلك كنت دليل(٥٢) سيدتى الليدى التى سعت للإنعام علىّ بدرجة الفارس فى ايرلندا(٥٣) حيث طاب لأخى الأكبر أن يموت هناك كان عندى فى ذلك اليوم سترة من الذهب كأى مما يلبس فى «ايلاند فويج»(٥٤) أو فى «كاديز»(٥٥)، ما رآها أحد إلا ومدحها؛ وجئت بها هنا، وظهرت أمام أصدقائى فى القصر، ثم توجهت إلى مستأجرى الأرض فى الريف، وعاينت أرضى، وقدمت عقود إيجار جديدة قبضت ثمنها، وأنفقتها فى قلب الأرض هنا على السيدات. والآن بإمكانى أن أضارب على مسراتى.

دوفاين: هل يمكن أن تضارب على السيدات، ياسيدى؟

كلريمونت: أوه، دعه يلتقط أنفاسه، لم يستردها بعد.

دوفاين: كم أتمنى لو كان لى نصف مالك فى هذه السلعة(٥٦).

لا ـ فول: لا، ياسيدى، لاتؤاخذنى: أنا قصدت المال الذى يمكن أن يضارب على أى شىء عندى ضيف أو ضيفان آخران لأدعوهما، وأقول لهما مثل ما قلت، ياسادة. أستأذن الآن، على أمل ألا تخيبا رجاء ـ خادمكما.

(يخرج لا ـ فول)

دوفاين: لن نخيب رجاءك ياسيد لا ـ فول المتأنق، ولكننا ستفعل، تلك التى ستأتى سيداتك لرؤيتها، إن كانت لىّ أسبقية على السير دوو(٥٧).

كلريمونت: هل سمعت من قبل مغفلا كهذا!

دوفاين: أو مثل ذلك الأخرق الآخر الذى سيخون حبيبته بإظهارها على الملأ! هيا، حان الوقت لنمنع حدوث ذلك.

كلريمونت: هيا.

(يخرجان)

الفصل الثانى

المنظر الأول

(يدخل) موروز، وميوت(٥٨)

موروز: ألا يمكن أن أجد حتى الآن، طريقة فعّالة إلا هذا الأنبوب، لأوفر على خدمى مشقة الكلام، وعلى أذنى نشاز الأصوات؟ لأجرب. كل الأصوات، ماعدا صوتى، تزعجنى. تبدو خشنة ومضجرة، لا داع لها، ألا يمكن أن ترد علىّ
بالايماءات فأفهمك، يارجل؟ لاتتكلم حتى وإن سألتك. أنت خلعت مدقاق الباب الرئيسى كما أمرتك؟ لا ترد علىّ بالكلام، وإنما بالصمت فقط، إلا إن كان خلاف هذا ـ عظيم جدًا.
(بين فترات التوقف ينحنى الرجل دائمًا أو يومىء)(٥٩). ووضعت لحافًا سميكًا، أو حشو سرير على مقدمة الباب، فحتى وإن طرقوا بخناجرهم، أو بقطع من الطوب، لم يسببوا أى ضجيج. بإنحناءة فقط تكون إجابتك، إلا إن كان خلاف هذا ـ عظيم جدًا. هذه ليست فقط طاعة محمودة من جانب خادم، وإنما أيضًا وقار وحكمة فى المخدوم. وقد كنت مع كتبيرد، الحلاق، وطلبت منه الحضور إلىّ؟ ـ عظيم. وسيأتى حالا؟ لا ترد علىّ إلا بانحناءة، إلا إن كان خلاف هذا، إن كان خلاف هذا فهز رأسك، أو كتفك. (ميوت ينحنى) ـ مفهوم! رفاقك من الإيطاليين والأسبان حكماء فى هذه الأمور، وهى رزانة مقتصدة ومناسبة. كم باق من الوقت على وصول كتبيرد؟ انتظر، لو ساعة، ارفع يدك كلها، لو نصف ساعة، إصبعين، لو ربع، إصبعًا واحدًا (ميوت يرفع إصبعًا مثنيًا) عظيم، نصف ربع؟ جميل. وقد أعطيته مفتاحًا ليدخل دون أن يطرق الباب؟ ـ عظيم. وهل تم تزييت القفل والمفصلات اليوم؟ عظيم وتضاريب السلم(٦٠) لم تنحل أو تتعرى؟ ـ عظيم جدًا. أنا أرى أنه بقدر واف من التعليم والتحفيز يمكن أن يكون لهذه الطريقة فاعلية، تنح جانبًا. إن التركى(٦١) بهذا النظام الرائع ليحرز الإعجاب متقدمًا على كل حكام الأرض، فدائمًا يقوم على خدمته صامتون؛ وكل

أوامره تنفذ هكذا، نعم، حتى فى الحرب، كما سمعت، وفى كل أسفاره، معظم أوامره وتوجيهاته يجيبون عليها بالإيماءات وفى صمت: فن رائع! وأنا غالبًا ما أكون خجلانًا وغضبانًا جدًا أن يتفوق أحد البربر على أمراء المسيحية بهذا القدر الرفيع من اللباقة. سوف أمارس هذا فيما بعد.

(شخص ينفخ بوقًا فى الخارج)

أوه، أوه! من هذا الغجرى، أى وحش بشرى يكون؟ - إلق نظرة. (يخرج ميوت - ينفخ البوق) ثانية - أوه، اقطع حلقه، اقطع حلقه! أى قاتل، وكلب جهنم، وشيطان، يمكن أن يكون هذا؟

(يدخل ميوت)

ميوت : إنه رسول من القصر[٦٢] -

موروز : اخرس، يامتشرد! وهل لابد أن تنفخ بوقك أنت أيضًا؟

ميوت : آسف ياسيدى، إنه رسول من القصر، يقول إنه لابد وأن يتكلم معك، قصاص الموت!

موروز : قصاص روحك، اخرس!

الفصل الثانى - المنظر الثانى

(يدخل) ترووت (حاملا بوق رسول، وحبل مشنقة)

ترووت : بإذنك، ياسيدى - أنا غريب هنا: - هل اسمك السيد موروز؟ - (لميوت) هل اسمك السيد موروز؟ صم، بكم، كلهم فيثاغوريون[٦٣]! هذا غريب! ماذا قلت، ياسيدى؟ لا شىء ! هل كان هاربوكرتيس[٦٤] هنا مع هرواته بينكم؟ - حسنًا، ياسيدى، سأفترض الآن أنك أنت الرجل؛ سأتجرأ عليك، ياسيدى. أصدقاؤك فى القصر يثنون عليك، ياسيدى -

موروز : (جانبًا) آه ياناس! آه ياأخلاق! هل وجدت قلة حياء كهذه إطلاقًا؟

ترووت : وهم مشتاقون لك جدًا، ياسيدى.

موروز : وضيع من أنت؟

ترووت : وضيع نفسى، ورفيقك، ياسيدى[٦٥].

موروز : احضر لىَّ سيفى -

ترووت : ستذق نصف خنجرى إن فعلت، أيها الخادم، وأنت النصف الآخر إن تحركت، ياسيدى. كن صبورًا، أنا آمرك باسم الملك، فاسمعنى دون عصيان مسلح. إنهم يقولون إنك ستتزوج؟ تتزوج! هل تصغى، ياسيدى؟

موروز : وماذا فى هذا أيها الرفيق الوقح![٦٦].

ترووت : تتزوج؛ أصدقاؤك يستغربون، ياسيدى. «التايمس» قريب من هنا، حيث يمكن أن تغرق نفسك بأناقة تامة، أو عند «لندن بريدج» أثناء الجزر[٦٧] بقفزة جميلة تسرع بك إلى قاع المجرى، أو من فوق برج جميل فى المدينة مثل «القوس»[٦٨] تقفز منه، أو من علو أروع مثل برج لويس[٦٩]، أو إن كنت تود فعلها فى مكان أقرب للبيت وبطريقة أسرع، فمن نافذة رائعة فى الدور العلوى وعلى الشارع، أو من عارض تلك النافذة العلوية وبحبل المشنقة هذا (يريه حبل المشنقة) الذى أرسلوه ويرغبون فى أن تسرع بوضع رأسك الوقور فى هذه العقدة خيرًا من أن تضعها فى عقدة الزواج، أو أن تتناول قليلاً من المتصعد[٧٠]، وترحل عن الدنيا مثل فأر، أو مثل طيرة، كما قال أحدهم، بقشة فى المؤخرة[٧١]؛ هذا على أى حال خير من أن تتمم هذا الزواج العفاريتى. واحسرتاه، ياسيدى، هل تظن فعلا أنك ستجد زوجة عفيفة فى هذا الزمن؟ الآن؟ حيث العديد من «الماسكات»[٧٢]، والمسرحيات، وتعاليم المطهرين[٧٣]، والناس المجانين[٧٤]، والمناظر الغريبة الأخرى التى تشاهد كل يوم، سرًا وعلنًا؟ لو أنك عشت فى عصر الملك «ايثلرد»[٧٥]، ياسيدى، أو «إدوارد المعترف»[٢٠]، فربما عثرت وقتها فى إحدى قرى الريف البارد على فتاة مجمدة غبية يمكن أن ترضى برجل واحد: سرعان ما يقنعن، الآن، بساق واحدة، أو عين واحدة. سأحكى لك، ياسيدى، الأخطار الرهيبة التى ستتعرض لها على يد زوجة.

موروز : ياسيد يامحترم، هل اغتصبت يومًا بالحيلة أرض أحد من أصدقائك؟ آلت إلىَّ ممتلكاتهم؟ صادرت صكوك رهونهم؟ حرمتهم من حق الترقى؟ فجرت مع ذريتهم؟ ماذا فعلت أستحق عليه كل هذا!

ترووت : لا شىء، ياسيدى، حسب علمى، وإنما هى لهفتك على الزواج.

موروز : ولم، لو أنى اغتلت أباك، أفسدت أمك، اغتصبت إخوتك.

ترووت : كنت قتلتك، ياسيدى، كنت قتلتك لو فعلت.

موروز : بل قد فعلت بى أكثر من هذا، ياسيد، إنه إنتقام شنيع لكل الأفعال الإجرامية التى يمكن تسميتها أن تفعل ما قد فعلت بىّ.

ترووت : وأسفاه، ياسيدى، ما أنا. إلا رسول: إنما أبلغك ما ينبغى أن تسمعه. يبدو أن أصدقاءك حريصون على

سلامة أعصابك، ياسيدى، ويريدون أن ينبهوك إلى الخطر ـ لكن لك أن تفعل ما يسرك رغمًا عنهم جميعًا، أنا لا أحاول الاقناع، ياسيدى. لكن إن حدث بعد أن تتزوج أن هربت زوجتك مع لاعب وثب[٧٦]، أو مع الفرنسى الذى يمشى على الحبال[٧٧]، أو مع الذى يرقص الجيج[٧٨]، أو مع مبارز لمهارته فى استخدام سلاحه، فلن تكون غلطتهما هما إذن، فإنهما يريحان ضميرهما عندما تكون أنت على علم بما قد يحدث، لا، تحمل فى شجاعة، ياسيدى، لأنى لابد أن أخبرك بكل المخاطر التى أنت عرضة لها. لو كانت حسناءً، وصغيرة، وحيوية، فما جمع ذبابًا مثل تلك المربى والحلوى؛ كل الصدريات الصفراء، والورود الجميلة[٧٩] فى المدينة ستكون هناك. لو كانت قبيحة، ومحنية، ستسكى هى ورائهم وتدفع عنهم ثمن تلك الصدريات، والورود، ياسيدى. لو كانت غنية وقد تزوجت من مهرها، لا شخصها، ستتحكم فى بيتك مثل الأرملة المتسلطة ـ لو كانت نبيلة، فسيكون كل اقربائها طواغيت عليك. لو كانت خصوبًا، ومتباهية مثل مايو، ومتقلبة المزاج مثل أبريل، فلابد أن يتوافد عليها أطباؤها، وداياتها، وممرضاتها، ومريدوها، على مدار الساعة، حتى وإن كان لأجل أتفه مضغة رجل. لو كانت متعلمة، فما وجد مثل هذا الببغاء إرثك كله أقل كثيرًا من أن يكفى الضيوف الذين لابد من دعوتهم لسماعها تتكلم اللاتينية واليونانية، ولابد أن تجاريها فى هاتين اللغتين أيضًا إن أردت أن ترضيها. لو كانت متزمتة[٨٠]، فلابد أن تستقبل كل الإخوان الصامتين[٨١] مرة كل ثلاثة أيام، تحيى الاخوات، تولم الزمرة كلها، أو بعضًا منها، وتسمع شعائر طويلة النفس حتى الملل، وأناشيد، وسينًا وجيمًا فى الدين أنت غير معتاد عليها، ومع ذلك، لابد أن تشارك لترضى حرمك المصون المتحمسة، والتى فوق ذلك، سوف تحتال عليك باسم القضية المقدسة. بدأت تتصبب عرقًا، ياسيدى؟ وما بلغنا من القول نصفه، فى الحقيقة؛ ومع ذلك بوسعك أن تفعل ما يحلو لك فكما قلت سابقًا أنا ما أتيت لأقنعك ـ (ميوت ينسل هاربًا). قسمًا لو تحركت أنت، أيها الخادم، أضربنك.

موروز : آه ما هى خطيئتى! ما هى خطيئتى؟!

ترووت : ثم إن كنت تحب زوجتك، أو كنت مفتونًا بها، ياسيدى، آه كم ستلوعك، وتكون سعيدة بعذابك! سترقد معها عندما تريد هى؛ لن تؤذى جمالها أو تضر بشرتها، أو لابد أن يكون هذا مقابل هذه القطعة من المجوهرات، أو تلك اللؤلؤة إن قبلت، وكل نصف ساعة متعة لابد وأن تتطلب جديدًا، وبنفس جهد وتكلفة تودك السابق لها. ثم لابد أن توفر لها ما ترغب من خدم[٨٢]، ومن الصحبة التى تريد؛ هذا الصديق لا يجب أن يزورك دون إذن منها، وهذا الذى تحبه حبًا جمًا تتظاهر بأنها تبغضه من صميم فؤادها لتبرد نار غيرتك، أو تتظاهر أولا بأنها غيورة عليك. ولهذا السبب تذهب لتقيم مع صديقتها، أو ابنة عمومتها فى الرابطة، التى يمكن أن تطلعها على خبايا كتابة الرسائل، وإغواء الأحبة، وترويض الجواسيس، وحيث لابد وأن يكون لها هذا الثوب الثمين فى مناسبة ذلك اليوم البهيج، وآخر جديد لمناسبة جديدة، وثوب أغلى لمناسبة ثالثة. تأكل فى أطقم من فضة، وتكدس غرفتها بأسراب من الخدم والحشم، والرسل الآخرين[٨٣]، إلى جانب المطرزين، وصائغى الحلى، والخياطات والخياطين، والرياشين، والمعطرين، بينما هى لا تشعر كيف أن مساحة الأراضى تتناقص، ولا كيف تبدد الأفدنة، ولا تتنبأ بتغير الحال عندما يستولى البزاز[٨٤] على مدخراتك مقابل أقمشتها القطيفة؛ لا تلق بالا لمكانتها، ياسيدى، طالما يمكن أن تقبّل غلامًا، أو ذا ذقن ملساء قد يأس من نبت اللحية. تكون فقيهة سياسية، تتابع كل الأخبار، ماذا جرى فى «سالزبيرى»[٨٥]، ماذا تم فى «باث»[٨٦]، وفى القصر، وفى الزيارات الملكية، أو أنها ربما تصدر أحكامًا على الشعراء والمؤلفين، وأساليبهم، وتقارن بينهم، دانيال مع سبنسر، جونسون مع الشاب الآخر[٨٧]، وهلم جرا، أو تظن أنها بارعة فى الجدال، أو فى أعقد مسائل الالوهية، وغالبًا ما يكون على لسانها حسم المسألة المطروحة، ثم تقفز إلى الرياضيات، والبراهين، وترد فى الدين على سؤال، وفى السياسة على آخر، وفى الخلاعة على ثالث.

موروز : آه! آه!

ترووت : هذا كله صحيح تمامًا، ياسيدى. ثم ذهابها متنكرة إلى هذا المنجم أو تلك العرافة، حيث يكون السؤال الأول:

متى تحين وفاتك؟ والتالى إن كان خلها الحالى يحبها؟ وأى أفراد عائلتها سيكون أمهر المتهكتين، رجلا أم امرأة؟ وأى وضع مميز سيكون لها بزواجها المقبل؟ ثم تدون الإجابات، وتصدقها فوق ما جاء فى الكتب المقدسة بل ربما تدرس الفن(٨٨).

موروز : هل إنتهيت أيها السيد المحترم؟ هل نلت مبتغاك منى؟ سأفكر فى هذه الأشياء.

ترووت : نعم، ياسيدى، ثم إذ هى تنتن البيت بالبخار والعرق بسيرها حافية، وتظل راقدة شهرًا بوجه جديد كله زيت ودابوق(٨٩)، وتستيقظ فى حليب الحمير، وتغتسل بفوقس جديد(٩٠). كان الله فى عونك، ياسيدى. بقى شيء آخر كدت أنساه. وهذا يتعلق أيضا بمن ستتزوجها، فربما وكلت آخرًا بفض بكارتها مقدمًا كما تفعل الأرامل الحكيمات بممتلكاتهن قبل أن يتزوجن، مؤتمنات صديقًا ما(٩١) ياسيدى، ومن عساه يتكلم؟ وإن لم تكن قد فعلتها بعد، فربما تفعلها فى يوم الزفاف، أو فى الليلة التى تسبقه، وتؤرخك ديوثًا مسبقًا. أمور كهذه قد سمعنا عنها فى الواقع، وما هى بالشيء المتخيل المستحيل الوقوع، ياسيدى كان الله فى عونك. سأتجرأ، فأترك هذا الحبل معك، ياسيدى، كتذكار - وداعًا، ياميوت! (يخرج).

موروز : تعال، خذنى إلى حجرتى: لكن اغلق الباب أولا.

(البوق ثانية)

أوه، اغلق الباب! اغلق الباب! هل عاد؟

(يدخل كتبيرد).

كتبيرد : إنه أنا، ياسيدى، حلاقك.

موروز : آه كتبيرد، كتبيرد، كتيبرد! قد كان هنا قصاص حلوق(٩٢) معى. أدخلنى إلى سريرى، وأعطنى دواء مع النصح(٩٣).

(يخرجون)

الفصل الثانى . المنظر الثالث

(يدخل دوو، وكلريمونت، ودوفاين، وابيسين(٩٤))

دوو : لا، وإن كان، فدعها ترفض بناء على طلبها هى، هذا أمر لا يخصنى، ياسادة. لكنها لن تدعى لمأدب، أو تكون مع ضيوف كهؤلاء كل يوم.

كلريمونت : أوه، إطلاقًا. وربما لا ترفض (يثنيانها سرًا) ابق فى البيت إن كنت حريصة على سمعتك. قسمًا، إنك مدعوة هناك حتى تراك سيدة الرابطة ومن فى ركابها ويضحكن عليك، عازف البوق هذا(٩٥) أذاع أمرك.

دوفاين : لا تذهبى، فيصبح هو أضحوكة بدلا منك إن لم يأت بك، وادفعيه لاظهار قدرته البارعة فى التصرف بحماقة والتكلم بصوت عال، إرضاءً للصحبة.

كلريمونت : سيشك فينا، تكلما بصوت عال. - أرجوك، ياسيدة ابيسين، دعينا نرى أشعارك، عندنا إذن من سيرجون دوو، لا تخفى موهبة محبك، ومحاسنك أنت.

ابيسين : ستثبت أنها محاسن محبى إن أذن لكما.

دوفاين : (جانبًا لابيسين) خيلاؤه، ياسيدتى!

دوو : أرهم، أرهم، ياحبى، عندى الجرأة ان أنسبها لنفسى.

ابيسين : احكما، أنتما، أية روائع.

دوو : بل سأقراها أنا بنفسى أيضًا: على المؤلف أن يلقى أعماله بنفسه. إنها أغنية(٩٦) عن الاحتشام:

محتشمة وحسناء، فالحسن والاحتشام.

جارا قربى، بيد أن -

دوفاين : جميل جدًا.

كلريمونت : نعم، أليس كذلك.

دوو : ما من فضيلة نبيلة كانت فردًا إطلاقًا

وإنما ثنتان فى واحدة.

دوفاين : ممتاز!

كلريمونت : أعد، من فضلك، ياسير جون.

دوفاين : فيها شيء من الفطنة والحس النادرين.

كلريمونت : تآلف.

دوو : ما من فضيلة نبيلة كانت فردًا إطلاقًا،

وإنما ثنتان فى واحدة.

فإن أمدح الاحتشام الجميل، إذن

فإنما شعاعات الجمال الوضاء أمدح،

وأما وقد مدحت الاحتشام والجمال،

فأنت التى قد مدحت.

دوفاين : بديع!

كلريمونت : يالجرسها الموسيقى، ورناتها فى الختام، بتسام!(٩٧).

دوفاين : نعم، إنها لسينكا(٩٨).

كلريمونت : لا، أظن أنها لبلوتارك(٩٩).

دوو : اللعنة على بلوتارك وسنيكا، أنا أكره هذا: قسمًا بهذا النور، إنها من وحى خيالى أنا. أنا متعجب كيف نال هذان الشخصان مثل هذه السمعة بين السادة المحترمين.

كلريمونت: إنهما مؤلفان رصينيان جداً.

دوو : حماران رصينيان! مجرد كاتبى مقالات! بضع جمل مفككة، ليس إلا. أى واحد يمكن أن يتكلم مثلهما طيلة عمره؛ أنا أتفوه بأشياء جميلة على مدار الساعة، لو أنها جمعت والتفت إليها، لكانت كأى مما يصدر عنهما.

دوفاين: فعلا، ياسير جون!

كلريمونت: ينبغى له، كونه يعيش بين الفطناء والمتأنقين أيضًا.

دوفاين: نعم، وهذا حاله، يكون الرئيس عليهم.

دوو : هناك أرسطو، مجرد شخص عادى، أفلاطون متحدث، تاسيتوس(١٠٠)، وليفى، حملان وجافان، ثيوسيديدس(١٠١)، عقدة كاملة؛ أحيانًا يستحق الفك، فى أندر الأحيان.

كلريمونت: وما قولك فى الشعراء، ياسير جون؟

دوو : لا يستحقون أن يلقبوا بالمؤلفين. هوميرس(١٠٢) حمار عجوز ممل مطنب، يتكلم عن سائس الخيول، وقطع لحم البقر(١٠٣)، فيرجيل(١٠٤) عن ترويث الأرض والنحل؟ وهوارس(١٠٥)، لا أدرى عما يتحدث.

كلريمونت: هذا ما أعتقده أيضًا.

دوو : ومثلهم باندريوس، وليكوفرون، وأناكريون، وكاتولوس(١٠٦)، وسنيكا كاتب التراجيديا، وليوكان، وبروبرتيوس، وتيبيولس، ومارشال، وجوفينال(١٠٧)، وأسونيوس، وستاتيوس، وبوليشان(١٠٨)، وفاليريوس فلاكوس(١٠٩) والبقية(١١٠).

كلريمونت: ياالكيسه المملوء بأسمائهم.

دوفاين: وكيف يسردهم! بوليشان مع فاليريوس فلاكوس!

كلريمونت: ألا ينطبق عليه الوصف فعلاً!

دوفاين: فى الحقيقة إلى أبعد ما يكون.

دوو : وبيرسيوس، أحمق. معقد لا يطاق.

دوفاين: إذن من هم فى نظرك المؤلفون ياسير جون دوو؟

دوو : سنتساجما(١١١)القانون المدنى، كورباس القانون المدنى، إنجيل ملك الأسبان.

دوفاين: هل إنجيل ملك الأسبان مؤلف؟

كلريمونت: نعم، وسنتاجما.

دوفاين: ومن هو سنتاجما هذا، ياسيدى؟

دوو : محامى مدنى أسبانى.

دوفاين: لابد وأن كورباس كان هولنديًا(١١٢).

كلريمونت: نعم. كلا الكوربيسين كنت أعرفهما، كانا مؤلفين بدينيين جدًا.

دوو : ثم هناك فاتبولس، بومبانتيوس، سيمناشا(١١٣)؛ الآخرون لا ينبغى أن يشغلوا حيزًا فى فكر عالم.

دوفاين: أقسم ياسيدتى أن لديك محبًا علامة صرف(١١٤) فى الألقاب.

كلريمونت: أنا متعجب كيف أن الدولة لم تستدعه وتعينه مستشارًا.

دوفاين: له شخصية استثنائية.

كلريمونت نعم، لكن إن قلنا الحق، فإن الدولة فى حاجة لتوظيف أمثاله فى المناصب الدائمة.

دوفاين: مهلا، فلابد وأن هذه خطوة ستتلو.

كلريمونت: أنا مستغرب كيف تظل حبيبته صامتة هكذًا أمام مواهب(١١٥) هذا المحب.

دوو : هذه فضيلتها، ياسيدى. وقد كتبت شيئًا عن صمتها أيضًا.

دوفاين: نظمًا، ياسير جون؟

كلريمونت: وبأى سواه؟

دوفاين: لكن كيف تبرر كونك أنت نفسك شاعرًا، بينما تقلل من شأن الشعراء القدامى هكذا؟

دوو : ليس كل من نظم هو بشاعر؟ عندك من الفطناء من ينظم أشعارًا، ومع ذلك فهم ليسوا بشعراء، الشعراء هم الذين يعيشون على ما يكتبون، المحتاجون الذين يعيشون على هذا(١١٦).

دوفاين: ألا تقبل أن تعيش على ما تنظم، ياسير جون!

كلريمونت: لا، سيكون مدعاة شفقة إن فعل. فارس يعيش على أشعاره؟
لم يؤلفها لهذا الغرض، كما آمل.

دوفاين: ومع ذلك، فإن النبيل سدنى يعيش على أشعاره، والعائلة النبيلة لا تشعر بالخجل(١١٧).

كلريمونت: نعم، لقد صرح علنًا بذلك، لكن سير جون دوو يتمتع بحرص أكبر: لن يعرقل صعوده فى الدولة إلى هذا الحد!. هل تظنه سيفعل! نريد نظمك ياسير جون العزيز لا الأشعار(١١٨).

دوو : الصمت فى المرأة مثلما فى الرجل الكلام،
من ذا بوسعه إنكار.

دوفاين: ليس أنا، صدقنى: وما تفسيرك ياسيدى.

دوو : وما هى بإشاعة،

إن شر الانثى لابد فضيلة فى الذكر يكون،
أو شر الذكر فى الأنثى فضيلة يكون.
ستراها أنت
فى الخصب مبرهنة.
أعرف كيف أتكلم، وتعرف هى كيف الصمت يكون[119].
هل تفهموننى، ياسادة؟

دوفاين: لا، فى الحقيقة، ماذا تقصد بقولك «فى الخصب» ياسير جون؟

دوو: ولم، «فى الخصب» تعنى عندما أخطب ودها للأمر المشترك بين الخلائق، فلا يكون منها سوى صمت الرضى، وفى الوقت المحدد تكون حاملاً[120].

دوفاين: هىَ إذن هوان شعبى عن الإنجاب؟

كلريمونت: أنت مخطىء بل هى أغنية عن الإنجاب[121].

ابيسن: أرجوك، رد لىّ أشعارى، يامحبى.

دوو: إن طلبتها بصوت عال، تكون لك. (يمشى جانبًا مع ابيسين)

كلريمونت: انظر، ها هو تروويت قد عاد.

الفصل الثانى. المنظر الرابع

(يدخل) تروويت (حاملا بوق الرسول)

كلريمونت: أين كنت، بحق الجنون، حاملا بوقك هكذا؟

تروويت: حيث كان يمكن أن يفعم صداه إحساسك بالسعادة لو كنت على مسمع منه. يادوفاين، اركع، وتبرك بىّ؛ لقد حلت دون حدوث الواقعة، يافتى:لقد كنت مع خالك الفاضل، وأفسدت الزواج.

دوفاين: أمل أنك لم تفعل.

تروويت: بلى، صدقنى، وما ينبغى أن تأمل فى غير ذلك، وإلا شعرت بالندم. هذا البوق يسّر لىّ الدخول، قبله. لم أجد وسيلة أخرى للدخول إلا بالادعاء بأنى رسول، لكن بمجرد أن دخلت، لم أثبت سوى العكس. أحلته عامودًا أوحجرًا، أو ما هو أصلد، راعدًا عليه بمثالب الزوجة، وشقاوات الزواج. لو أن أحدًا رأى «جرجونة»[122] يومًا فى ثوب امرأة، فقد رآها فى أوصافى: لقد صددته عن تلك الفكرة إلى الأبد. لماذا لا تستحسنان صنيعى، وتطريان علىّ، أيها السيدان؟ لماذا تقفان بكمًا؟ هل خبلتما؟ أنتما لا تستحقان المعروف.

دوفاين: ألم أقل لك؟ بلية!

كلريمونت: أتمنى لو أنك وضعت معروفك هذا فى موضع آخر.

تروويت: ما هذا؟

كلريمونت: أقسم أنك قد ارتكبت أبله وأحمق وأسخف شىء فعله إنسان بصديقه على الإطلاق.

دوفاين: صديق! لو أن ألد أعدائى درس كيف يضربنى فى مقتل، ما كان ليفعل أكثر من هذا.

تروويت: ما هذا، بالله عليكم؟ عودا لرشدكما، أيها السيدان؟

دوفاين: لقد حذرتك، من قبل، من هذا.

كلريمونت: أتمنى لو التحمت شفتاى عندما تفوهت بهذا الأمر! بالله، مالذى دفعك لتكون متطفلا إلى هذا الحد؟

تروويت: ياسيداى، لا تتظاهرا هذا التظاهر الغريب تنصلا من فضلى عليكما، ارفعا عنكما هذين القناعين. أهذا جزاء ما فعلت بكما من خير.

دوفاين: أقسم بالله لقد دمرتنى. كل ما خططت له، وكان يؤتى ثماره طوال الشهور الأربعة الماضية، نسفته أنت فى دقيقة. أما الآن وقد إنتهيت، فيمكن أن أتكلم. لقد أسكنت هذه السيدة هنا لحيلة، ولكى تنطلى على خالى، ادعت هى هذا الصمت المتعمد لأجل خاطرى، وكونها صديقتى المخلصة، فقد وافقت على أن تتزوجه مقابل الثروة التى ستحصل عليها بالزواج منه، وتهىء لىّ فرصًا ثمينة. أما الآن، فقد تبددت كل آمالى بسبب هذه الفعلة التعسة.

كلريمونت: وهكذا، عندما يكون الرجل فضوليًا عن جهل، فهو يقدم خدمات دون أن يدرى ما أسبابها. أنا مستغرب أى حكة خير أصابتك! أنت لم ترتكب فى حياتك فعلا أسخف من هذا، أو إثمًا أعظم فى حق الصداقة، والإنسانية.

دوفاين: طبعًا، بوسعك أن تتسامح فى الأمر قدر ما تستطيع، فهى أصلا غلطتك.

كلريمونت: أعرف ذلك، وأتمنى لو لم تكن.

(يدخل كتبيرد)

دوفاين: ما وراؤك الآن، ياكتبيرد، ما الأخبار؟

كتبيرد: أحسنها، وأسعدها حتى الآن على الإطلاق، ياسيدى. كان هناك رجل مخبول مع خالك هذا الصباح، (يرى تروويت) أعتقد أن هذا هو السيد ـ ظل يكلمه حتى كاد يطير صوابه بالوعيد مما فى الزواج ـ

دوفاين: استمر، أرجوك.

كتبيرد: وخالك، ياسيدى، اعتقد أن ذلك قد كان بتدبير منك،

لذلك فهو سيرى السيدة التى تعرفها توًا، وإذا أعجبته، كما يقول، وثبت أنها ميالة لعدم الكلام كما أخبرته، فقد أقسم أن يتزوجها اليوم فورًا، ولن يؤجلها ولو لدقيقة واحدة.

دوفاين : ممتاز! فوق ما نتوقع!

تروووت : فوق ما نتوقع! قسمًا بهذا النور، أنا كنت أعرف أنها لابد وأن تنتهى على هذا النحو.

دوفاين : أرجوك سامحنى ياترووت العزيز.

ترووت : لا، أنا كنت فضوليًا عن جهل، متطفلا، هذا كان الفعل الأبله، السخيف.

كليرمونت : هل سترد هذا إلى ميزة فيك الآن، وقد كان مجرد ضربة حظ!

تروود : حظ ! قد كان بعد نظر صرف. لا دخل للحظ فى هذا ولو بقيد أنملة.

أنا رأيت أنه من الطبيعى أن الأمر لابد وأن ينتهى على هذا النحو: عبقريتى لا تخذلنى مطلقًا فى هذه المسائل. أرنى كيف كان يمكن أن يسير الأمر بخلاف ما قد كان.

دوفاين : لا، ياسيداى،لا تتجادلا، فالأمر على ما يرام الآن.

ترووت : واحسرتاه، لقد تركته يواصل قوله «متهور»، «مندفع» وما طاب له.

كليرمونت : كفى، أيها الدعى العجيب عن نفسه، وقد أصبحت أحكم مما كنت بما ترتب من نتائج.

ترووت : ما ترتب من نتائج! قسمًا بهذا النور، لن تقنعنى أبدًا، فقد تنبأت بها فعل النجوم ذاتها.

دوفاين : كفى، ياسيدى، الأمر على ما يرام الآن. هلا سليتما سير جون دوو بالحديث بينما أرسلها بالتوجيهات.

ترووت : سأتعرف عليها أولا، بعد إذنك.

(يقتربان ناحية ابيسين ودوو)

كليرمونت : السيد ترووت، ياسيدى، أحد أصدقائنا.

ترووت : أنا آسف، ياسيدى، لأنى لم أتعرف عليك من فورى لامتدح فضيلة صمتك الرائعة.

كليرمونت : حقًا، ولو أنك جئت قبل قليل، لرأيت، وسمعت كيف احتفى بها سير جون دوو فى قصائده.

(يخرج دوفاين، ابيسين، وكتبيرد)

ترووت : جاك دوو، حفظك الله، متى رأيت لا ـ فول؟

دوو : لم أره منذ البارحة، ياسيد ترووت.

ترووت : هذه معجزة! ظننت أنكما ـ الاثنين ـ لا تفترقان.

دوو : لقد ذهب يدعو ضيوفه.

ترووت : أى والله، فعلا! يالذاكرتى الضعيفة نحو هذا الرجل! لقد قابلته للتو على ظهر ما يدعوه حصانه الأسود البارع الجميل، امتطاه مثل الريح، متجولا من مكان لمكان، ومن شخص لشخص، يبلغهم بما يتوجب عليهم ـ

كليرمونت : خشية أن ينسوا.

ترووت : نعم، لا يوجد مثيل لهذا الكابتن المسكين[١٢٣] الذى يحمل نفسه فوق وسعها بجمع معارف جدد على مائدته يريهم أصدقاءه.

دوو : إنها مأدبته الفصلية[١٢٤]، ياسيدى.

كليرمونت : لماذا تقول مثل هذا الكلام، ياسير جون؟

ترووت : لا، جاك دوو لن يضحى بما وهب من فطنة ولو لأجل أعز أصدقائه. أين محبوبته، لتسمع، وتطرى عليه؟ هل انصرفت؟

دوو : هل ذهبت السيدة ابيسين؟

كليرمونت : انصرفت منذ قليل مع سير دوفاين، أنا متأكد إلى هناك.

ترووت : انصرفت منذ قليل! هذه إهانة واضحة، عار ونصف، أن تتركه فى وقت احتفال كهذا رغم كونه متأنقًا وفطنًا أيضًا.

كليرمونت : ويى، سيبتلعها مثل الكريمة: لعله يقرأ فى القانون المدنى[١٢٥] بأفضل مما يعى ماهية أى عار يلحقه من محبوبته.

دوو : لا، دعها تذهب، سوف تجلس وحدها، وتظل خرساء فى غرفتها أسبوعًا كاملا حين يتعلق هذا بجون دوو، إنى أتعهدها. هل تتخلى عنى؟

كليرمونت : لا، ياسيدى، لا تأخذ الأمر على هذا المحمل من الجدية: إنها لم تتخل عنك، وإنما أهملتك قليلا. أقسم لك ياترووت، إنك أنت الملام إذ تصور له أنها تخلت عنه.

ترووت : ياسيدى، لقد تخلت عنه صراحة، مهما تجملت فى القول. ولو كنت أنا مكانه، لأقسمت ألا أخاطبها بكلمة واحدة اليوم لهذا السبب.

دوو : قسما بهذا النور، لن تصدر أى كلمة منى.

ترووت : ولا لأى شخص آخر، ياسيدى.

دوو : هذا ما لن أقوله، ياسادة.

كليرمونت : ستكون فرصة ممتازة لمرح الصحبة إن استطعت أن تجره لهذا.

دوو : فى الحقيقة، سأكون مكتئبًا جدًا.

كلريمونت : مثل كلب[١٢٦]، لو كنت مكانك، ياسير جون.

تـرووت : أو حلزون، أو أرقة ـ الأشجار: لكنت تكورت على نفسى لهذا اليوم، فى الحقيقة، وما ينبغى أن يفكونى.

دوو : قسمًا بخلالة الأسنان هذه، هذا ما سأفعله.

كلريمونت : أحسنت: بدأ بالفعل يتعارك مع أسنانه[١٢٧].

دوو : هل ننصرف، ياسادة؟

كلريمونت : لا، لابد أن تسير وحدك، إن كنت مكتئبًا فعلا، ياسير جون.

تـرووت : نعم، ياسيدى، سنسير فى أعقابك، ونتبعك من بعيد.

يخرج دوو

كلريمونت : هل رأيت فروسية كهذه، مقاسها ياردتان، يقسمها الزمن مقادير لكى تباع من أجل الضحك؟

تـرووت : مجرد بغل متكلم، عليه اللعنة! لا نجد إطلاقًا طازجًا بهذا الشكل. شخص تافه جدًا، إذ لا يدرى له حالا.

كلريمونت : فلنتبعه: لكن دعنا أولا نذهب إلى دوفاين، إنه يحوم حول البيت يتسمع الأخبار.

تـرووت : بكل سرور

(يخرجان)

الفصل الثانى . المنظر الخامس

(يدخل) موروز، ابيسين، كتبيرد، وميوت

مـوروز : أهلا ياكتبيرد، اقترب بوديعتك الحسناء، واهمس فى أذنها متوسلا أن ترفع نقابها (كتبيرد يهمس لابيسين، التى ترفع نقابها) ـ هكذا هل الباب مغلق؟ (ميوت ينحنى) ـ كفى. الآن، ياكتبيرد، بنفس النظام الذى اعتدته مع خدم الدار، سأسألك. حسب فهمى، ياكتبيرد، فهذه السيدة المحترمة هى التى كفلتها وأحضرتها على أمل أن تناسبنى مكانة،وشخصًا، كزوجة، لا ترد علىّ إلا بإنحناءة، إلا إن كان الأمر خلاف ذلك[١٢٨] ـ أحسنت تمامًا، ياكتبيرد. كذلك أفهم، ياكتبيرد، أنك اطلعت مسبقًا على أصلها، وتعليمها، وخصالها، وإلاما كنت ترشحها لتحظى بموافقتى فى أمر الزواج الهام ـ هذا أنا أفهمه، ياكتبيرد. لا ترد علىّ إلا بإنحناءة، إلا أن كان الأمر خلاف هذا ـ أحسنت، ياكتبيرد. الآن تنح قليلاً، ودعنى اختبر حالها، وميل عاطفتها نحوى. (يدور حولها، ويتفحصها) ـ إنها بالغة الحسن،وذات جمال خاص سار، سواء من حيث اتساق القوام، أوتناسق الأعضاء، إن جمالها هو عين النوع الذى يثير شعورى. لقد كذب علّى الوغد إلى أبعد حد: سأتكشها[١٢٩] الآن من الداخل. اقتربى، أيتها السيدة الحسناء، لا تظنى سلوكى على ما وقحًا، وإن بدا معك أنت، أيتها الرائعة، غريبًا. (تنحنى ابيسين باحترام) لا، ياسيدتى، بوسعك أن تتكلمى، رغم أنه لا يجوز لكتبيرد، أو خادمى: فمن بين كل الأصوات، فقط الصوت الجميل لسيدة حسناء يكون له الواقع الحسن على أذنى. أرجوك، تكلمى، ياسيدتى، يقولون إنه من الشرارة الأولى لتلاقى العيون يشب الهوى: هل تحسين بأى شعور مماثل قد أصابك فجأة من تأثير أى جانب فى شخصى؟ ها، ياسيدتى؟ (تنحنى باحترام) وأسفاه، ياسيدتى، هذه الردود بإنحناءات الاحترام الصامتة منك بسيطة تعوزها اللياقة. لقد كانت تنشئتى كلها فى القصر، وتلك التى تصبح زوجتى، لابد وأن تتوائم مع المظاهر النبيلة والجريئة. هل يمكن أن تتكلمى؟

ابيسين : (تتكلم برقة)فى الحقيقة الرأى ماتراه.

مـوروز : ماذا تقولين، ياسيدتى؟ ارفعى صوتك، أرجوك.

ابيسين : فى الحقيقة الرأى ما تراه.

مـوروز : فى رأيى،رقة ملائكية! لكن هل يمكنك أن تتطوعى من تلقاء نفسك لفهم ما أريد، بقدر ما أفرضه أنا فرضًا على هذين[١٣٠] بالتوجيه والتدريب، فلا تجدى متعة فى إطلاق لسانك، الذى هو أهم وسائل الامتناع عن المرأة، وتقتنعين بأنه يكفى أن تردّى علىّ بالايماءات طالما ينسجم كلامى مع فهمك الصحيح؟ (تنحنى باحترام) ـ ممتاز! ملائكية! لو كان ممكنًا أن تستمر على هذا المنوال: ـ اطمئن، ياكتبيرد، لقد أفلحت للأبد، مثلما أرحتنى إن دام هذا الهناء، لكنى سأختبرها أكثر. ياسيدتى العزيزة، قلت لك بأن تنشئتى تنشأة قصور، ولابد أن أمتع أذنى بالأحاديث السارة والذكية، بالهزو الظريف والنكات، والدلال، مع تلك التى أود اختيارها رفيقة لفراشى. السيدات فى القصر يعتقدون أن أكثر الأمور إفسادًا لفطنتهن، وسلوكهن، هو عدم استطاعتهن تهيئة الفرصة للرجل كى يتودد إليهن، وعندما يقف حديث الهوى على قدمه يرين من حسن التدبر الاستمرار فيه. فهل أنت ـ وحدك ـ تختلفين عنهن جميعًا هذا الاختلاف الجم حتى أن ما يهدفن إليه

ويجتهدن فيه كى يبدون ذوات علم، وحكمة، وحذق، وفطنة، يمكن أن تدفنيه داخلك بالصمت، أو أنك ربما تعهدين بمحاسنك إلى الإدراك اليقظ للفضيلة لا للعالم، أو لإفضائك أنت لذاتك.

ابيسين: (برقة) لىّ أن آسف إذن.

موروز: ماذا تقولين، ياسيدتى؟ ارفعى صوتك، أيتها السيدة العزيزة.

ابيسين: لىّ أن آسف إذن.

موروز: هذا التأسى يفعمنى بالسرور. آه، ياموروز، أنت أسعد الخلائق جميعًا! أرجوك أن تكبح شعورك - ساقوم باختبارها مرة أخرى لا غير، وسيكون ذلك بأقصى ما يمس ويمتحن بنات جنسها(١٣١) - لكن اسمعينى، ياسيدتى الحسناء؛ أنا أيضًا أحب أن أرى من سأختارها حرمًا لىّ(١٣٢)، أن تكون الأولى والمثال المحتذى فى كل الموضات، وتستبق كل السيدات فى القصر بأسبوعين(١٣٣). يكون لها الناصحون من الخياطين، والبزازين، والمطرزين، والملبسات،تجلس معهم لبعض الوقت مرتين فى اليوم، يتحدثون عن أخبار (الموضة) الفرنسية، ثم تظهر كالطبيعة فى تنوعها أو تفوقها، وتكون أبهى استعانة بالتزين، خادمها المنافس(١٣٤). هذا يعجبنى جدًا: ولكن كيف ستكونين قادرة، ياسيدتى، بهذا الشح فى الكلام على أن تصدرى الأوامر المختلفة، وإنما الضرورية، من أجل هذا الصدار، هذه الاكمام، هذه التنورات، شريط الزينة هذا، هذه الغرزة، هذه التطريزة، هذا الرباط، هذا السلك(١٣٥)، هذه العقد، هذا الطوق(١٣٦)، هذه الورود(١٣٧)، هذا المشد، هذه المروحة، الوشاح الآخر، هذه القفازات؟ ها! ماذا تقولين، ياسيدتى؟

ابيسين: (برقة) سأترك هذا لك، ياسيدى.

موروز: ماذا، ياسيدتى؟ أرجوك أن ترفعى صوتك درجة.

ابيسين: سأترك هذا للحكمة، ولك، ياسيدى.

موروز: مخلوقة رائعة! لن أضايقك أكثر، لن أرتكب خطيئة فى حق بساطة حلوة كهذه. دعينى الآن أتجرأ بأن أختم على هاتين الشفتين السماويتين عهد كونك لىّ. (يقبلها) ياكتبيرد، قد منحتك رخصة بيتك مجانًا، لا تشكرنى إلا بإنحناءتك - أنا أعرف ماذا تريد أن تقول، إنها فقيرة، وقد قضى أصدقاؤها: لقد جاءت بمهر ثمين فى صمتها، ياكتبيرد، أما بخصوص فقرها ياكتبيرد، فسوف تكون أكثر حبا لى وطاعة، ياكتبيرد أكمل مهمتك وأتنى بقس حالا يكون صوته رقيقًا خفيضًا ليزوجنا وارجوه الا يخرج عن الموضوع وإنما يوجز قدر استطاعته هيا بهدوء ياكتبيرد، (يخرج كتبيرد) - ياولد، قد سيدتك إلى حجرة الطعام، من الآن هى سيدتك (يخرج ميوت وابيسين) آه، ياهنائى! يا لانتقامى من ابن أختى الوقح، ومؤامراته بقصد تخويفى من الزواج! هذه الليلة، سيكون لى وريث، وأقصده من دمى مثل الغريب. كان يطمح إلى لقب فارس ظنًا منه انه يمكن أن يتحكم فىّ بهذه الطريقة، وأن لقبه لابد ناصره: هيهات، ياقريبى، الآن، سأجعلك تحضر لىّ خطاب عاشر لورد ومن الليدى السادسة عشرة(١٣٨)، ياقريبى، ولن يفيدك هذا فى شىء، ياقريبى. فروستيك ذاتها سوف تركع على ركبتيها فأرفضها. ستتوسل لدفع ديونها وقت الاستيفاء(١٣٩) ولن أمنحها شيئًا. هذه الفروسية سوف تمارس الاحتيال فى حانات الاثنى عشر بنسًا، طوال موسم القضاء، وبلقمتها تحكى حكايات فى أوقات الفراغ لصاحبة النزل، أو أن تقدم هذه الفروسية على ماهو أسوأ، متخذة لها مأوى فى «كول - هاربر»(١٤٠)، وتصوم عن الطعام. سوف تخيف كل من تعرف بخطابات الاستدانة، وعندما يعطى واحد من ثمانين هذه الفروسية عشرة شلنات،فسوف تذهب إلى «الكرينز»(١٤١) أو «البير»(١٤٢) عند «بريدج - فووت»(١٤٣)، وتسكر فى خوف، ولن يكون لديها ماتدفعه ثمنًا لفاتورة حانة واحدة، تتوسل إلى الدائنين القدامى للصبر على هذه الفروسية، أو الجدد منهم الذين ينبغى أن يضمنوا هذه الفروسية. ستكون الاسم العاشر من المقترضين لرفع سلعة الأوانى الخزفية، وأوعية الفخار(١٤٤)، ولن يتيح هذا الدور لهذه الفروسية ما تحاول السعى به جريًا وراء أرملة خباز الخبز الأسمر(١٤٥). سيُضفى على هذه الفروسية لقب الفحل لكل زوجات العامة اللعوبات، وتُرفض عندما يعتبر ناظر مدرسة الرقص أو أيا من كان، أفجر لاه فى المدينة. سوف يعوزها الملبس، وبالتالى تصبح أداة لتضليل المحامين(١٤٦). لن يكون لها أمل فى إصلاح ذاتها فى

استنبول،أو ايرلندا، أو فرجينيا[١٤٧]، وسيمكن أفضل وأخر حظوظ هذه الفروسية فى القيام بدور «دول تيرشيت»[١٤٨]، أو «كيت كومون»[١٤٩]. وبهذا المسعى ربما تجد هذه الفروسية ما يطلعمها.

الفصل الثانى. المنظر السادس

(يدخل) ترووت، ودوفاين، وكلريمونت

ترووت : هل أنت متأكد أنه لم يمر؟

دوفاين : لم يمر، أنا منتظر فى المحل من ساعتها.

كلريمونت : ربما سلك الناحية الأخرى من الزقاق.

دوفاين : لا، لقد رتبت معه أن نتقابل هنا فى هذه الناحية: وأعدته هنا.

ترووت : ياله من بربرى[١٥٠] أن يتأخر إذن.

(يدخل كتبيرد).

دوفاين : ها هو قادم، هناك.

كلريمونت : لقد ترك وديعته خلفه، وهى دلالة طيبة جدًا، يادوفاين.

دوفاين : ما الأخبار الآن، ياكتبيرد! أفلح الأمر أم لا؟

كتبيرد : بما يفوق الخيال، ياسيدى، كل خير، ما كنت تتمنى فى أدعيتك أن يتم الأمر على وجه أحسن من هذا. كله عال، الولد العجوز يتصرف بحماقة، كما يقول المثل السائر، إنه ينتشى نصرًا بسعادته، معجب بالمرأة! لقد منحنى رخصة بيتى، أيضًا! وأنا الآن ذاهب إلى قس صامت ليزوجها، وينصرف.

ترووت : بالله، ائته بواحد من القساوسة المخرسين[١٥١]، أخ حماسى يذيقه العذاب الصرف.

كتبيرد : هذا تفويض، ياسيدى.

دوفاين : لا، إطلاقًا، دعنا لا نقدم على أى فعل يعطل الأمر الآن: عندما يكتمل وينجز، فأنا معك فى أى حيلة من حيل التنكيد.

كتبيرد : سيتم هذا خلال نصف ساعة فقط، قسمًا ببراعتى، ياسادة. دبروا ما استطعتم أثناء ذلك، فالفأل موات.

(يخرج)

كلريمونت : ياللعبد كيف «يلتنها»!

ترووت : سيكون مرح هذا اليوم مبعث مزاح لذريتنا، ياسادتى، إن أردتم.

كلريمونت : ملعون للأبد من لا يريد، أقولها علنًا.

دوفاين : وماذا عن دورى أنا؟

ترووت : أن تحول كل زمرة لا - فول، ووليمته إلى هناك، اليوم، للاحتفال بهذا العرس.

دوفاين : أوه، جميل، لكن كيف يحدث هذا؟

ترووت : أنا سأتولى إرشاد كل ضيوف السيدة إلى هناك، ثم يأتى الطعام بعد ذلك.

كلريمونت : بالله، فلننفذ ذلك، ستكون هزيلة نكد ممتازة، فيها مختلف ألوان الصخب.

دوفاين : لكن ألا تعتقد أنهم فعلا فى المكان الآخر[١٥٢]؟

ترووت : أنا أضمن لك عليات الرابطة، إحداهن لم تضع اللون الزاهر بعد، والأخرى لم تجهز سمقها[١٥٣].

كلريمونت : أوه، لكنهن يستيقظن جميعًا مبكرات عن العادة حين تكون هناك وليمة.

ترووت : الأفضل أن نذهب فنرى، ونتأكد بأنفسنا.

كلريمونت : من يعرف البيت.

ترووت : أنا أدلكما: ألم تذهبا إلى هناك إطلاقًا؟

دوفاين : بالنسبة لىّ، لا.

كلريمونت : ولا أنا.

ترووت : أين عشتما إذن؟ ألا تعرفان توم أوتر؟!

كلريمونت : لا، بالله، من يكون؟

ترووت : حيوان ممتاز، يتساوى مع ذلك «الدوو» أو «لا - فول» إن لم يزد عليهما، و «يلتن» كثيرًا بقدر ما يفعل حلاقك. إنه تابع زوجته؛ يسميها أميرة، وفى أحيان كهذه، يتبعها فى البيت جيئة وذهابًا مثل غلام، خالعًا قبعته، من ناحية بسبب الحر، ومن ناحية بداعى الاحترام. الآن هو يرتب ثوره، ودبه، وحصانه.

دوفاين : وما هؤلاء، بحق أبى الهول؟

ترووت : قد كان، ياسيدى، على أيامه رجلا ذا شأن فى «البير جاردن»[١٥٤]، ومن تلك اللعبة البارعة، حصل على اللقب الحاذق لأكبر كاسات خموره. يسمى إحداها ثورة،والثانية دبه، والثالثة حصانه[١٥٥]. ثم هناك كأساه الأصغران اللتان يطلق عليهما غزالته، وقرده، ومنها أيضًا أحجام مختلفة، وهو لا يشعر بالرضى مطلقًا ولا يظن أن أى تسلية تكتمل إلا بإخراجها ووضعها فى الخزانة.

كلريمونت : استحلفكم بالله! سيفوتنا هذا إن لم نذهب.

ترووت : لا، عنده ألف شىء مما يتفاخر به، ويجعله يكشف نفسه طول اليوم. إنه يتذمر من زوجته فى أمور بعينها من خلف ظهرها، أما فى وجهها -

دوفـاين : كفانا كلامًا عنه. لنذهب، ونراه، أرجوكما.

(يخرجون)

الفصل الثالث

المنظر الأول

(يدخل) أوتر، السيدة أوتر.

تروت، كلريمونت، دوفاين (فى أثرهم، لا يلحظه أحد).

أوتـــر : لا، يا أميرتى العزيزة، اسمعينى، بضع كلمات فقط.

السيدة أوتر : قسمًا بهذا الضياء لآمرن بتقييدك مع كلاب ثورك، وكلاب ـ دبك، إن لم تصبح آدميًا فى الحال. سأبعث بك فعلا إلى وجار الكلاب. أفضل لك أن تطاردنى بثورك، ودبك، وحصانك(١٥٦). لم يحدث أن جاء إلى هذا البيت وجهاء القصر، أو عضوات الرابطة، إلا وحولته إلى ثلاثاء ـ المدافع(١٥٧)! أتمنى لو لبست قبعة «العنصرة» القطيفة(١٥٨)، وأمسكت عصاك فى يدك لتقوم على تسليتهم، نعم فى الحقيقة، إفعل هذا.

أوتـــر : لا هذا ولا ذاك، يا أميرتى، بل تحت التقويم(١٥٩)، يا أميرتى الحلوة، إذنى لىّ، هذه الأشياء أنا معروف بها عند رجال القصر. لقد بلغهم أنها مزاجى، هذا ما وصلهم، ويتوقعونه. ثور، ودب، وحصان توم أوتر معروفون لإنجلترا كلها، فى العالم المنظور.

السيدة أوتر : أقسم إنى سوف أقذف بهم إلى «باريس جاردن»، وأقذف بك أنت إلى هناك أيضًا، إذا نطقت بها مرة ثانية. هل الدب حيوان لائق، أو الثور، لتجعلهما تختلطان بمجتمع عليات القوم؟ أتظن فى رأيك أنهما موجودان فى أى مجتمع راق؟

أوتـــر : الحصان، إذن، يا أميرتى العزيزة.

السيدة أوتر : حسنًا أنا راضية بالحصان، إنهن يحببن أن يمهرن جيدًا، أنا أعرف، أنا نفسى أحب ذلك.

أوتـــر : وإنه لحصان بارع رقيق هذا. حصان الشعر المجنح(١٦٠)، إنما تحت التقويم، يا أميرة، جوبيتر حوّل نفسه إلى رمح، أو ثور، تحت التقويم، يا أميرتى العزيزة.

السيدة أوتر : قسمًا بكمالى، سأرسلك إلى «بانك سايد»(١٦١) سأعهد بك إلى راعى الحديقة، إن سمعت منك حرفًا زيادة. هل ينبغى أن يتلوث بيتى، أو سقفى، برائحة الدببة والثيران، عندما يكون معطرًا لأجل السيدات رفيعات المقام؟ هل يتفق هذا والعقد عندما تزوجتك؟ أن أكون أميرة،وتكون لى السلطة فى بيتى، وتكون أنت تابعى، وتطيعنى؟ مالذى أحضرته لىّ يجعلك تتجرأ هكذا؟ هل أعطيك نصف «كرون»(١٦٢)، كل يوم تنفقه حيث شئت بين مقامريك لتغيظنى، وتقهرنى، فى أوقات مثل هذه؟ هل يمكن أن تقول لىّ، من ينفق عليك؟ من يوفر لك علف حصانك، ولحم طعامك؟ وبذلاتك الثلاث كل عام(١٦٣)؟ والأزواج الأربعة من الجوارى، إحداها حرير، وثلاثة من الصوف، وكتانك النقى، وياقاتك، وأسورة قمصانك، وأحزمتك، عندما أوفرهم لك لترتديهم؟ والعجيب أنك مرتديهم الآن. من يشرفك بصحبة الحاشية الملكية أو علية القوم، يتكلمون معك وقد ترجل من عرباتهم(١٦٤)، ويأتون إلى بيتك؟ هل حدث أن التفت إليك لورد أو ليدى قبل أن أتزوجك، إلا فى الفصح أو عطلات العنصرة؟ أو عند الإطلال من نافذة قصر الضيافة حيث يكون «نيد ويتنج» أو «جورج ستون»(١٦٥) على الخازوق.

تـرووت : (جانبًا) استحلفكما بالله، دعونا نذهب، لنصدها عنه.

السيدة أوتر : رد على ما أقوله. ألم التقطك من هناك، وأنت فى سترة الزى الرسمى من جلد الجاموس المشحمة القديمة ذات الاكمام القطيفة الخضراء المتدلية عند الرسغ؟ نسيت هذا؟

تـرووت : (جانبًا) سوف تنهشه إن لم نسعفه فى الوقت المناسب(١٦٦).

السيدة أوتر : أوه، يوجد بعض السادة المتأنقين هنا! هيا، تصرف بلياقة، وبسلوك حميد، وإلا أحذرك بأنى سأحرمك من مخصصاتك.

الفصل الثالث . المنظر الثانى

تـرووت : بعد إذنك، ياسيدة أوتر الحسناء، سأتجرأ بتقديم هؤلاء السادة لك.

السيدة أوتر : هذا ليس أمرًا بغيضًا أو مزعجًا، ياسيدى.

تـرووت : كيف حال القائد النبيل؟ ألا يزال الثور، والدب، والحصان فى العالم المنظور؟

أوتـــر : سيدى، فى أبهى منظر.

السيدة أوتر : أتمنى لو استأنست بهم حقا. هيا. انصرف حالا، وأحضر التوست والزبدة المعدة لدجاج الأرض(١٦٧). هذاعمل مناسب لك.

(يخرج أوتر)

كلريمونت : (جانبًا لترووت، ودوفاين) واحسرتاه، ياللطاغية التى تزوجها هذا الرجل المسكين!

ترووت : أوه، إنما المزاح بعد قليل، عندما نصطاده بمفرده.

دوفاين : وهل يجرؤ بأى حال على الكلام؟

ترووت : لم ينفلت زمام «أنا باتستى»(١٦٨) بمثل هذه الحرية إطلاقًا: لكن لاحظ عباراتها فى غضون هذا، أرجوك.

السيدة أوتر : ياسادة، لقد أتيتم فى أنسب وقت. ابن عمى، السير أموروس، سيأتى هنا حالا.

ترووت : فرصة طيبة، ياسيدتى، ألم يكن سير جون دوو هنا ليسأل عنه، وعن الجماعة؟

السيدة أوتر : لا أستطيع أن أؤكد ذلك، ياسيد ترووت. قد كان هنا فارس مكتئب جدًا يرتدى طوقًا(١٦٩)، طلب تابعى(١٧٠) لمقابلة أحد الأشخاص، أحد الوجهاء على ما أظن.

كلريمونت : نعم، إنه هو، ياسيدتى.

السيدة أوتر : لكنه رحل على الفور، فى مقدورى أن أحزم بذلك(١٧١).

دوفاين : يالها من عبارة ممتازة منتقاة تلك التى استخدمتها هذه السيدة.

ترووت : أوه، ياسيدى، إنها النموذج الأوحد الحقيقى فى المدينة لسيدة تربت فى القصر، والتى لم تترعرع هناك بحكم المولد.

السيدة أوتر : لقد أخذتم هذا الكلام على محمل الجد، ياسادة.

ترووت : بل أوكد لك أن القصر يعتبرها كذلك، ياسيدتى، تأييدًا لك.

السيدة أوتر : أنا خادمة القصر، وحاشيته، ياسيدى.

ترووت : وهم بالمثل مفتونون بك.

السيدة أوتر : ليس إلى هذا الحد، ياسيدى

(يدخل كتبيرد دوفاين، وترووت، وكلريمونت يتحادثون معه على حدة).

دوفاين : ما الأخبار الآن، ياكتبيرد.. أى معوقات؟

كتبيرد : أوه، لا ياسيدى، كل شىء على ما يرام. ما كان ليكون الأمر أسلس من هذا. كل شىء مطمئن.

لقد أسعدته بقس حتى أنه يقدم على الأمر بكل السرور الذى يتمناه فى القريب العاجل.

دوفاين : وأى نوع من الخلق هو؟

كتبيرد : واحد مصاب ببرد، ياسيدى، ولا يكاد يسمع على بعد ٦ بوصات، كما لو كان يتكلم عن عشب البرك الذى لم يترع أو كما لو أن حلقه كان مليئًا بالزبد، رجل سريع بارع، وحلاق ممتاز للابتهالات(١٧٢). جئت أخبرك ياسيدى أنك ربما لا تترك حجرًا إلا وقلبته، كما يقولون، أجهز بما عندك من نكد.

دوفاين : شكرًا، ياكتبيرد الأمين، كن فى الجوار مع مفتاح لتدخلنا.

كتبيرد : لن اخيب ظنكم، ياسيدى، فأنا طوع الأمر.

(يخرج)

ترووت : حسنًا، سوف أذهب لأجهز عرباتى.

كلريمونت : هيا، وسوف نرسل دوو إليك إن لم تقابله.

(يخرج ترووت)

السيدة أوتر : هل انصرف السيد ترووت؟

دوفاين : نعم، ياسيدتى، وقع أمر مؤسف بعض الشىء.

السيدة أوتر : لقد قدرت هذا من ملامح الشخص الذى جاء، كما حلمت أيضًا الليلة الماضية بالمهرجان الجديد(١٧٣)، وسيدتى زوجة العمدة، التى هى دائمًا نذير شؤم علىّ. وقد حكيته لسيدتى الليدى هويتى ذاك اليوم عندما جاءت سعادتها هنا لترى بعض المنتوجات الصينية، وقد فسّرته من «أرتيمدروس»(١٧٤)، ومن وقتها وأنا أجد أن ذلك يصدق تمامًا. لقد سبب لىّ كثيرًا من المضايقات.

كلريمونت : حلمك، ياسيدى؟

السيدة أوتر : نعم، ياسيدى، أفعل أى شىء، ولا أحلم بالمدينة. لقد بقعت لىّ مفرش مائدة دمسقى، كلفنى ثمانية عشرة جنيهًا فى مرة من المرات، وأحرقت لىّ ثوبًا من الستان الأسود، بينما كنت اقف قرب المدفأة، فى حجرة الليدى سنيتور فى الرابطة فى مرة ثانية. وفى مرة ثالثة فى «ماسك» اللوردات، أحرقت كل سلكى وطوقى بشمعة حتى أننى لم أتمكن من الصعود إلى المأدبة. وفى مرة رابعة، بينما كنت أستقل العربة لأذهب إلى «وير»(١٧٥)، لأقابل صديقًا، أفسدت لىّ ثوبًا جديدًا بكامله: صدرية قرمزية من الستان، وتنورة من القطيفة السوداء ببول الحصان، لدرجة أنى اضطررت إلى أن أدخل، وأبدل ملابسى، وقد لازمت غرفتى ثلاثة أيام بسبب حزنى مما حدث.

دوفاين : هذه مواقف سوء حظ منذرة، ياسيدتى.

كلريمونت : ما كنت أسكن فى المدينة لو أنها كانت شؤمًا علىّ هكذا.

السيدة أوتر: نعم، ياسيدى، لكنى أتلقى نصحًا من طبيبى بأن أقلل من أحلامى بها قدر ما استطيع.

دوفـاين: خيرًا فعلت، ياسيدة أوتر.

(يدخل دوو، كريمونت يأخذه جانبًا).

السيدة أوتر: هل تتفضلون، ياسادة، بالتقدم أكثر إلى داخل البيت؟

دوفـاين: كرمك بالغ، ياسيدتى، لكننا سنبقى لنتكلم مع أحد الفرسان، السير جون دوو، الذى حضر لتوه هنا، وسنأتى فى إثرك، ياسيدتى.

السيدة أوتر: وقت تشاؤن، ياسيدى. إنها مأدبة ابن عمى سير آموروس[١٧٦].

دوفـاين: أعرف ذلك، ياسيدتى.

السيدة أوتر: ولىّ فيها أيضًا. لكنها مقامة على شرفه، ولذلك لم أشرك اسمى فيها بما يزيد على المكان.

دوفـاين: أنت قريبة سخية.

السيدة أوتر: خادمتك، ياسيدى

(تخرج)

الفصل الثالث. المشهد الثالث

(يتقدم كلريمونت مع دوو)

كلريمونت: لماذا، ألم تكن تعرف ذلك، ياسير جون دوو؟

دوو: لا، أنا مغفل إن كنت أعرف.

كلريمونت: سأخبرك إذن، الآن تكون قد تزوجت، وإن كانوا قد أدخلوا فى رأسك أنها ذهبت مع سير دوفاين، فإنى أؤكد لك أن سير دوفاين هو أنبل وآمن صديق لك يمكن أن يفخر به سيد محترم من أمثالك[١٧٧]. لقد اكتشف المؤامرة كلها، وأحاط محبوبتك علمًا بهذا، وهى بحق خجلة جدًا من إساءتها لك، حتى أنها تتمنى لو أنك سامحتها، وشرفت زفافها بحضورك اليوم - تقول إنها ستتزوج من ثروة كبيرة جدًا، خاله، موروز العجوز، وقد رجتنى أن أخبرك على إنفراد أنه سيكون بمقدورها أن تمنحك ودها بأمان أكبر الآن من أى وقت مضى.

دوو: هل قالت هذا فعلا؟

كلريمونت: وماذا تظن فىّ ياسير جون؟ سل سير دوفاين.

دوو: لا، أنا أصدقك - عزيزى سير دوفاين، هل كانت ترغب فى أن أسامحها؟

دوفـاين: أؤكد لك ياسير جون أنها قد فعلت.

دوو: إذن سأفعل من كل قلبى، وأكون مرحًا.

كلريمونت: نعم، ياسيدى،فإن هذا الأمر إساءة لك. لقد أقام لا - فول هذه المأدبة تشريفًا ليوم عرسها، وجعلك أداة لدعوة سيدات الرابطة، ووعد بأن يأتى بها، وفى الوقت الذى تظهر فيه على أنها صديقته، يكون قد جعل منك مغفلا. أما الآن، فقد أفهمها سير دوفاين بالاقناع المرضى أنك سوف تحضر كل السيدات إلى المكان الذى ستكون فيه، وأن تكون مرحًا جدًا، وهناك تتناول العشاء الذى سيقام باسمك: وهكذا تخيب أمل لا - فول، لترد اعتبارك مرة أخرى، وتعود كما كنت منقدًا رجولتك.

دوو: وبما إنى فارس، فإنى سأقدرها، وأسامحها من كل قلبى.

كلريمونت: هيا، إذن على الفور. لقد إنصرف تروت قبلنا ليجهز العربات، وكان سيحيطك علمًا بكل هذا، لو كان قد قابلك. الحق به، وسيكون كل شىء على مايرام.

(يدخل لا - فول)

انظر ها هو خصمك قد جاء. لا تلق بالا، وإنما كن مرحًا للغاية.

لا - فـول: ياسير جون دوو هل حضرت السيدات، ومحبوبتك؟

(يخرج دوو)

سير دوفاين! يا ألف أهلا، وبالسيد الأمين كلريمونت. أين ابنة عمى؟ ألم تريا أية عضوات فى الرابطة بالسيدان؟

دوفـاين: عضوات فى الرابطة! ألم تسمع، ياسير آموروس، يالها من إساءة فى حقك؟

لا - فـول: ماذا، ياسيدى!

كلريمونت: أتتحدث بكل هذا اللطف مع سير جون دوو، وهو الذى ألحق بك هذه الإهانة.

لا - فـول: كيف ذلك، ياسادة؟ أتوسل إليكم أن تفهمونى، أرجوكم!

كلريمونت: لماذا، ياسيدى، لقد تزوجت محبوبته اليوم من خال سير دوفاين، جار ابنة عمك، وقد حول كل السيدات، وكل صحبتك إلى هناك، ليحبط تدبيرك، ويلصق بك عارًا، قد كان هنا الآن ليغرينا بالابتعاد عنك أيضًا: لكننا علمناه من يكون، على ما أظن.

لا - فـول: هل أخطأ سير جون دوو فى حقى على هذا النحو غير الإنسانى؟

دوفـاين: لقد فعل، ياسير آموروس، بما وسعه من حقد وخيانة، لكن إن أسلمت نفسك لنا، فستردها له فعلا، صدقنى.

لا. فول: أيها السادة الأفاضل، صدقونى، سأنضم إليكم. لكن كيف، أفهمونى؟

دوفاين: حسنًا، ياسيدى. أحضر لىّ تدرجاتك[178]، وليموزياتك[179]، وأطايب طعامك، وضعها حالا فى أطباق ابنة عمك الفضية، ولا تقل شيئًا، وإنما لف حولك منشفة نظيفة مثل كبير خدم المأدبة[180]، وأنت حاسر الرأس تمشى أمامها بخطى واثقة فقط حتى تصل بثبات، وسوف نعاونك عندما تضعها على المائدة، وتدعوهم إليها مرحبًا، وسوف يظهر تصرفك هذا أن المأدبة مأدبتك، فتفضح ترتيباته تمامًا: وبالنسبة لابنة عمك، بدلا من أن ترهق نفسها هنا فى البيت من عناء الاستقبال، والضيافة، تحول كل هذا الجهد إلى هناك، وتكون هى بنفسها الضيفة الرئيسية: تجلس على قدم المساواة مع عليات الرابطة، تحظى بالشرف، ويشربون فى صحتها كالعادة برءوس حاسرة، وبصوت عال، مثلها مثل أرقاهن.

لا. فول: سأذهب، وأخبرها فورًا. هذا ما سيكون؛ لقد حسم الأمر. (يخرج)

كريمونت: اعتقدت أنه لن يقبل الإصغاء لهذا، لكن الموضوع أسره.

دوفاين: حسنًا، سيكون هناك ضيوف،وطعام الآن؛ كيف سترتب للموسيقى؟

كريمونت: إن رائحة لحم الغزال، حين تنفذ إلى الشارع، ستجذب فرقة من عازفى الكمان أو من سواهم.

دوفاين: أتمنى لوجذبت نافخى الأبواق هنا!

كريمونت: فعلا، هناك أمل: لديهم حاسة لكل الولائم. هناك مراسلة جيدة بينهم وبين طباخى لندن: عشرون لواحد أننا سنحظى بهم.

درفاين: سيكون أكثر الأيام كآبة لخالى، ويكون يوم مرح عظيم لنا.

كريمونت: نعم، إن استطعنا أن نبقى على المنافسة بين فول[181] ودوو، ولا نهيىء لهما بأى حال أن يتعاتبا.

دوفاين: بل ننافقهما معا، كما يقول تروت، وأنت يمكن أن تتصيد أفكارهما، سيصدقان نفسيهما على أنهما بالضبط نفس الرجلين الذين صنعناهما، لا أكثر ولا أقل. ليس لديهما شىء، ولا يتصرفان من عقليهما بل بما جبلا عليه.

كريمونت: (لا فول) يدخل فى ثوب كبير خدم المأدبة. انظر! سير أموروس قد وضع منشفته بالفعل. هل اقنعت ابنة عمك؟

لا. فول: نعم، إنها مرنة جدًا: تقول إنها ستفعل أى شىء، ولا يلحق عار بعائلة لا - فول.

دوفاين: إنها قريبة نبيلة. ستكون خطة ساحقة ماحقة، ياسير أموروس! سوف تسحق كل مخططات عدوك سحقًا، وتدمره بذات ألغامه، بذات بارودة.

لا. فول: نعم، سوف نشعلها نارًا، ثق فى ذلك.

كريمونت: لكن لابد أن تنفذ ذلك سرًا بدون أى ضجة، ولا تلق بالا لشىء مهما كان - (يدخل أوتر).

أوتر: ياسادة، أميرتى تقول إنكم ستحظون بكل أطباقها الفضية بأسرع ما يمكن؛ لقد إنصرفت لتصلح من غطاء رأسها قليلاً، ثم تذهب معكم

كريمونت: وأنت أيضًا، ياكابتن أوتر؟

دوفاين: دون شك، ياسيدى.

أوتر: نعم، ياسيدى. هذا ما أعنيه، لكنى أرجو ابن عمى سير أموروس[182]، وأنتم ياسادة، أن تكونوا وسطائى عند أميرتى بأن أصطحب ثورى، ودبى، علاوة على حصانى.

كريمونت: سيكون لك هذا، ياكابتن أوتر.

لا. فول: ابنة عمى لن توافق أبدًا، ياسادة.

دوفاين: لابد وأن تذعن للمنطق، ياسير أموروس.

لا. فول: كيف، إنها تقول، إن وجودها غير لائق على الإطلاق بين السيدات.

أوتر: لكنها جميلة، وهذا أفضل ياسيدى.

كريمونت: أوه، لابد أن تصغى للنقاش. ألم تحب باسيفى[183]، وقد كانت ملكة، ثورًا، وألم تتحول كالستو، أم آركاس، إلى دب، وجعلت السيدة أورسولا نجمة فى السموات.

أوتر: آه ياربى! لو استطيع أن أقول مثل هذا كله! لكنت قد احتفظت بكل هذه القصص مصورة فى حديقة «البير» مقابل تحولات أوفيد[184].

دوفاين: وأين أميرتك، ياكابتن؟ أرجوك، كن قائدنا.

أوتر: هذا أفعله، ياسيدى.

كريمونت: أسرع، ياسير أموروس العزيز.

(يخرجون)

الفصل الثالث . المنظر الرابع

(يدخل) موروز، ابيسين، قس، وكتبيرد

موروز : سيدى، هذه قطعة ذهبية لك[185]، وقطعتان لبروك. لا تتعجب من عطيتى السخية. من المناسب أن نشكر الحظ شكرًا مضاعفًا على الواقع لأى خير يعود به علينا، أضف إلى ذلك أنه رغم أن هذا عيب فيك إلا أن فيه عزائى.

القس : (يتكلم كما لو كان مصابًا ببرد) أشكر سعادتك، إذن هى لىّ الآن.

موروز : ماذا يقول ياكتبيرد؟

كتبيرد : يقول: فى خدمتك، ياسيدى؟ وقتما تحتاجه سعادتك، سوف يكون جاهزًا لمثل هذا. لقد أصيب بهذا البرد لبقائه سهرانًا ينشد أغنيات[186] مع عمال الأقمشة.

موروز : كفى، إنى أشكره.

القس : حفظ الله سعادتك، وأنعم عليك بمسرة كبيرة مع عروسك الحسناء. احم، احم. يكح.

موروز : أوه، أوه! انتظر، ياكتبيرد! دعه يعيد لىّ خمسة شلنات من مالى. فإن كانت أفعال الخير تكافىء بالعطايا السخية، أفليس من الانصاف أن نجازى على الأذى بالتغريم. سوف أستردها، فما قوله؟

كليرمونت : لا يستطيع أن يجزئها، ياسيدى.

موروز : لابد أن تجزأ.

كتبيرد : (جانبًا للقس) كح ثانية.

موروز : ماذا يقول؟

كتبيرد : سيكح الباقى ياسيدى.

القس : احم، احم، احم.

(يكح ثانية)

موروز : اصرفه، اصرفه، سد فمه، اذهب، أنا متنازل عنها.

(يخرج كتبيرد مع القس)

ابيسين : أف لك، ياسيد موروز، أن تعهد إلى هذا العنف مع رجل من الكنيسة.

موروز : ماذا!

ابيسين : لا يتناسب ووقارك، أو تنشئتك، حسبما تذيع أنك تنشئة قصور، أن تهتاج بهذا الشكل على مراكبى[187]، أو أى مخلوق أجهر صوتًا، فما بالك بمن له لباسه الوقور[188].

موروز : إذن فأنت تستطيعين الكلام!

ابيسين : نعم ياسيدى.

موروز : أقصد، ترفعين صوتك.

ابيسين : نعم ياسيدى، وهل ظننت أنك تزوجت من صنم؟ أو من دمية متحركة؟ أو من إحدى العرائس الفرنسية التى تتحرك عيونها بخيط؟ أو بلهاء خارجة من المستشفى، تقف بيدين هكذا[189]، وبفم ملتوى[190]، تحدق فيك؟

موروز : أوه، يالقلة الحياء! امرأة مكشوفة الوجه! ما هذا، ياكتبيرد؟!

ابيسين : لا، إياك أن تتشاجر مع كتبيرد، ياسيدى؛ فات الأوان الآن. أنا أعترف بأن هذا القول يقلل إلى حد ما من الاحتشام الذى كنت أتسم به عندما كان ينظر إلىّ على أننى ساذجة، لكنى آمل أن أجعل من هذا الأصل ما يتكافىء دائمًا ووضع ووقار زوجتك.

موروز : يمكنها أن تتكلم!

ابيسين : فعلا، ياسيدى.

موروز : ماذا، ياولد! لا أحد من أوغادى هنا؟!

(يدخل ميوت)

أين هذاالداعر، كتبيرد؟

(ميوت يومىء بإشارة)

ابيسين : تكلم إليه، يارجل، تكلم إليه! لن أسمح بوجود مثل هذا البكم الشاذ بالإكراه فى بيت أهيمن عليه.

(يخرج ميوت)

موروز : لقد صارت وصية علىّ بالفعل! لقد تزوجت من نشيليا، من سميراميس[191]، بعت حريتى إلى عالم الحريم!

الفصل الثالث . المنظر الخامس

(يدخل) ترووت

ترووت : أين السيد موروز؟

موروز : هل عاد ثانية؟! ارحمنى يارب!

ترووت : أتمنى لك كل الهناء، ياسيدة ابيسين، مع زوجك الوقور[192]، المحترم.

ابيسين : ولك منى الشكر، ياسيد ترووت، بما يليق وأمنية الصديق. ولها معارف أيضًا!

موروز : ليحفظك الله، ياسيدى، وينعم عليك براحة البال فى

ترووت : اختيارك الموقف هذا. من قبل كنت بمثابة طائر الليل عليك، بومة، أما الآن،فأنا رسول سلام، حمامة، وأزف لك التمنيات السارة لكثير من الأصدقاء للاحتفال بهذه الساعة المباركة.

موروز : أية ساعة، ياسيدى؟

تروووت : ساعة زواجك، ياسيدى. أنه أمتدح قرارك، فرغم كل الأخطار التى بسطتها أمامك، مستعيرًا نعيق غراب الليل، قررت الاستمرار، وكان صوتك من داخلك. وهذا يدل على أنك رجل ثابت على هدفك، محدد فى غاياتك، وهو ما لا يعيقة صراخ أهل الشمال(١٩٣).

موروز : كيف توصلت إلى معرفة هذا كله؟

تروووت : ولم، أكنت تأمل، ياسيدى، وقد أسررت بالأمر لحلاق، ألا تعرفه كل المدينة على الأقل؟ لعلك كنت أسررت به عند مجرى القناة، أو فى مخبز(١٩٤)، أو إلى تباعين(١٩٥) القصر، لكان حفظ فعلا فى طى الكتمان. هل نسيت، ياصاحب الوقار، مثلا قديمًا ومشهورًا يقول «معروف للكل، لمكمشى العيون، والحلاقين»(١٩٦). حسنًا، ياسيدى، انس هذه الغلطة الآن، ياسيدى، وكن ودودًا مع أصدقائك. ستأتى هنا، حالا، ثلاث أو أربع سيدات عصريات من الرابطة لزيارتك،وبطانتهن من أهل الحظوة، والاتباع.

موروز : أغلقوا أبوابى! أغلقوا أبوابى! أين كل أكلتى، أفواهى، الآن؟

(يدخل الخدم)

أغلقوا الأبواب، ياغجر!

ابيسين : الغجرى هو الذى يهتاج دون ضبط أو ربط. إبقوا الأبواب مفتوحة. أريد أن أرى من يجرؤ على تحريك عينيه نحوها. هل أنتظر حتى يوضع متراس فى وجه أصدقائى، ليحول دون أى سرور يمكن أن يجلبوه لىّ بزيارتهم الكريمة؟

(يخرج الخدم)

موروز : آه، يالقلة الحياء الأمازونية!

تروووت : لا، صدقنى، ياسيدى، فى هذا كلامها عين العقل، وأظن أنها متماسكة أكثر منك. هل ينبغى أن تذهب للسرير من فورك هكذا، ياسيدى، ولم يحن الظهر بعد؟ رجل له عقليتك، وشخصيتك، ينبغى أن يهتم أكثر بهذا الحفل الجليل، ولا يعتلى سرير الزواج مثل ثور المدينة، أو ماعز الجبل، وإنما ينتظر التوقيت المناسب، ويصعد إليه برزانةوخشية. هذه المسرات ينبغى أن تنال فى أنس وسكون الليل، ويترك النهار للمسرات الأخرى العلنية، لابتهاجات الولائم، للموسيقى، واللهو، والأحاديث: سيكون عندنا كل هذا، ياسيدى؛ كل ما يجعل زواجك رفيع القدر، بهيجًا.

موروز : آه، ياعذابى، ياعذابى!

تروووت : لا، إن كانت، ياسيدى، النصف ساعةالأولى تمر عليك فى ملل وسأم مفرطين، فأى راحة، أو أمل، يمكن لهذه السيدة الحسناء أن تمنى نفسها بهما، فيما بعد، على اعتبار ماسيتلو من سنوات عديدة.

موروز : بالبلاء علىّ. ياسيدى الفاضل، إنصرف، واتركها تفعل هذا وحدها.

تروووت : لقد إنتهيت، ياسيدى.

موروز : هذا الحلاق الملعون.

تروووت : نعم، هو فعلا بائس ملعون(١٩٧)، ياسيدى.

موروز : لقد تزوجت قيثارته(١٩٨) التى يتداولها كل الرجال. طاعون على الطاعون(١٩٩).

تروووت: كل طواعين مصر العشرة(٢٠٠).

موروز : انتقم لىّ منه!

تروووت : حسن جدًا، ياسيدى، لو أنك دعوت عليه بلعنة أو لعنتين زيادة، فإنى أؤكد لك أنه سيبلى بهما. فمثلا، عله يصاب بالأسفلس(٢٠١)، وهو يحاول أن يعالجه(٢٠٢)، ياسيدى؟ أو عله وهو يفرد شعر أحد الرجال، يسقط شعره هو نفسه؟ أو، إن أحرق خصلة (٢٠٣) قواد، فعله يسحق مخه بمكواة الفرد؟

موروز : لا، دع البائس يعيش فى بؤسه. عله يصاب بحكة، ويصبح دكانه مقملا، فلا يجرؤ رجل على الاقتراب منه، ولا هو من أى رجل.

تروووت : نعم، وإذا أراد أن يتبلع كل رغاوى صابونه على أنها حبوب، فما عساها تطهره.

موروز : لتكن مدفأة سريره(٢٠٤) باردة على الدوام.

تروووت : ويكون تحتها صعيق أزلى(٢٠٥)، ياسيدى.

موروز : عساه لا يأمل فى رؤية نار مرة أخرى.

تروووت : إلا فى جهنم، ياسيدى.

موروز : تخلو مقاعده دائمًا، وتصدأ مقصاته،وتذوب أمشاطه فى صناديقها.

تروووت : هذا مروع جدًا! وربما فقد القدرة على صنع الفوانيس(٢٠٦).

موروز : لعل وعسى لا يتوفر قواد هذا العام يحمل فى كارتة، فيستخدم «طست» من عنده(٢٠٧)، وليكن سروره فى أن

يأكل أسفنجه خبزًا.

تـرووت : ويشرب الليسيون[٢٠٨] عليه، ويكون فيه نفع كبير له.

مـوروز : أو، لنقص خبزه.

تـرووت : يأكل إفراز الأذن، ياسـيـدى. أنا سـأعنيك. أو يخلع أسنانه هو، ويضيفها إلى وتر العود[٢٠٩].

مـوروز : نعم، ويطحن القديم منها، ويصنع منه خبزًا.

تـرووت : نعم، ويصنع من حجر الطاحون طعامًا.

مـوروز : لعل كل ما عالجه فى الآخرين من بثور ولسعات، يطفح على جلده.

تـرووت : ويكون قد نسى كيف يعالج نفسه منها، ياسيدى، وإن تذكر، يكون قد مزق كل ثوبه إلى ضمادات لهذا، فلا تبقى عنده خرقة يستتر بها.

مـوروز : عساه لا يستتر بعدها أبدًا، وإنما يصاب بالنقرس فى يديه للأبد. - الآن كفى، ياسيدى.

تـرووت : أوه، هذه الأخيرة رمية قاصمة[٢١٠]! ربما تتهاون معه قليلاً، فى الحقيقة، وتكون قد انتقمت بما يكفى، كأن لا يكون مثلاً قادرًا على تجديد دهان أعمدته.

مـوروز : كفى أيها السيد الفاضل. لقد نسيت نفسى.

تـرووت : أو لا يجد صانع أمشاط يعامله بالدين.

مـوروز : كفى، ياسيدى.

تـرووت : أو إن كان قد كسر مرآته فى حالة يأس سابقة، فعله يصاب الآن بيأس أشد، يتلوه آخر على الدوام.

مـوروز : أرجوك، كفاية.

تـرووت : أو أنه لا يكون مـوضـع ثقـة أبدًا إلا بـتـزيين منظفى المداخن[٢١١].

مـوروز : ياسيدى.

تـرووت : أو، عله يقص حلق عامل منجم بموسه دون قصد، ومع ذلك يكون جزاؤه الشنق على هذه الفعلة.

مـوروز : أفضل أن أسامحه على أن أسمع المزيد. أرجوك، كفى، ياسيدى.

الفصل الثالث - المنظر السادس

(يدخل) دوو، هويتى، سنتيور، ميفس، وتريستى

دوو : من هنا، ياسيدتى.

مـوروز : أوه،البحر إندفق علىّ! فيضان آخر! طوفان! ستغمرنى الضوضاء! قد بدأت بالفعل تضرب فى شطآنى. أشعر بزلزال فى كيانى من جريانها.

دوو : (مقبلا ابيسين) أنعم الله عليك بالسعادة، محبوبتى.

مـوروز : أولها محبون أيضًا؟!

دوو : لقد أحضرت بعض السيدات هنا لرؤيتك والتعرف عليك. (تقبلهن تباعًا بينما يقدمهن) سيدتى الليدى هويتى، وهذه الليدى سنتيور، السيدة دول ميفس، السيدة تريستى، وصيفة سيدتى الليدى هويتى. أين زوجك؟ دعينا نراه: ألا يستطيع تحمل الضوضاء؟ دعينى أقابله.

مـوروز : أى معلن أسماء[٢١٢] هذا!

تـرووت : هذا سير جون دوو، ياسيدى، محب زوجتك.

مـوروز : اسمه دوو[٢١٣]، ومحبها! أوه، هذا مكتوب علىّ، مكتوب علىّ. أولها مثل هؤلاء المحبين.

(يتأهب للانصراف)

تـرووت : لا، ياسـيـدى، عليك أن تُقبل السـيـدات. لا ينبـغى أن تنصرف الآن، إنهن مقبلات نحوك للتعرف عليك.

هـويـتـى : أحقًا، ياسيد موروز، تريد أن تتزوج سرًا هكذا وأنت وسط أصدقاء عديدين، ولاتخبرنا؟ حسنًا،سأقبلك أنا، رغم أنى محقة فى الملام. اتأذنين لىّ، ياسيدتى، أن أتصرف دون تكليف مع زوجك.

ابيـسين: فى هذا تشريف من حضرتكِ لىّ، أن تظهرى لىّ أنه جدير هكذا بفضلك، مثلما شرفته وشرفتنى بزيارة زوجين غير متأهبين لحسن ضيافتك.

مـوروز : مجاملات! مجاملات!

ابيـسين: لكن لابد أن ألقى باللوم فى هذا على عاتق هذا المحب.

هـويـتـى : الأمر لا يحتاج، ياسيدة موروز، سنتحمل جميعًا على أن لا يظلم أحد.

مـوروز : أعرف ذلك، وسوف تعلمينها الصنعة[٢١٤]، إن كان لها أن تتعلم.

(عضوات الرابطة يمشين جانبًا مع ترووت)

هـويـتـى : هل هذه هى المرأة الصامتة؟

سنتـور : لا، يقول السيد ترووت، إنها قد عثرت على لسانها منذ تزوجت.

هـويـتـى : أوه، السـيـد ترووت! ليـحـفظك الله. أى نوع من الخلق عروسك هذه؟ إنها تتكلم على ما أظن!

تـرووت : نعم، ياسـيـدتى، صدقى ذلك، إنـهـا سـيـدة ذات سلوك ممتاز، ومن أصل كريم.

هـويـتـى : وجاك دوو يخبرنا أنها لا تتكلم.

تـرووت : جرى هذا وفقًا للخطة، ياسـيـدتى، أن يقع فـيـهـا هذا

الرجل العجوز على يد سير دوفاين، ابن أخته، بمعاونة واحد أو اثنين منا، لكنها امرأة ذات ثقة ممتازة فى النفس، ولسان وعقلية طليقين على نحو غير عادى. سوف ترينها قبل حلول المساء تلهو بـ «دوو» ببراعة.

هويتى : وهو الذى أحضرنا لنضحك عليها!

ترووت : يحدث هذا غالبًا، ياسيدتى، فمن يظن نفسه ملك الشطارة، فما هو إلا ملك الحماقة، أؤكد لسعادتك، أنك لن تضحكى عليها أبدًا.

هويتى : لا، سنضمها للرابطة: فمادامت فطنة، فسوف تكون واحدة منا!أليس كذلك، ياسنتور؟ سنجعلها عضوة فى الرابطة.

سنتور : نعم، فعلا، ياسيدتى، وستتبادل هى وميفس أدوار الخطة.

ترووت : صدقينى، ياسيدتى، وياسيدة ميفس، إنها سوف تحسن أداء دورها.

ميفس: سأخبركم بهذا عندما أنتهى من الكلام معها، واختبرها.

هويتى : عامليها برقة شديدة، ياميفس.

ميفس : سأفعل، ياسيدتى.

(مفس تمشى جانبًا مع أبيسن)

موروز: ياللحظة المباركة لو أنهن يهمسن هكذا دائما!

ترووت : وأثناء ذلك، ياسيدتى، هلا قمت، سعادتك، بإغاظته قليلاً: أنت تعرفين داءه، تكلمى معه عن مراسم الزفاف، أو نادى تطلبين قفازاتك[٢١٥]، أو - ..

هويتى : هذا يكفى، هون عليك. سنيتور، ساعدينى - السيد العريس، أين أنت؟

موروز : أوه، معجزة، لو كان الأمر قد سار على مايرام!

هويتى : لا نرى أية دلائل على الزفاف هنا، لا أثر لمأدبة الزفاف: أين أغطية المائدة، وقفازاتنا؟ أرجوك، هاتها لنا. أو على الأقل أخبرنا عن ألوان عروسك[٢١٦]، وألوانك أنت.

سنيتور: وآسفاه، ياسيدتى، لم يعد أحد أيا منها.

موروز : لو كنت أعرف مزين سعادتك، لفعلت.

هويتى : لقد ثار منك، فى الحقيقة، ياسنيتور. لكن اسمع ياسيد موروز، إن مزحة لا تبرر لك إنتهاج هذا الاسلوب. أنت، يامن رضعت حليب القصر، وتربيت هناك على طعامه الفاخر، وخمره، وكنت من الحاشية الملكية من المهد إلى الشيب[٢١٧]، كما قد نقول، يمكن أن تقصر إلى هذا الحد فى مراسم كهذه، وتخلى عرسك من كل دلائل الوقار! كم طبقًا خسرت اليوم - لو أنك فقط نظرت بعين الاعتبار لنفعك - أى هدايا، أى أصدقاء، بسبب جلافتك المتأصلة!

موروز : سيدتى -

هويتى : لا تؤاخذنى، ياسيدى، لابد أن أكشف لك أخطاءك؟ لا قفازات؟ لا أربطة؟[٢١٨] لا أغطية للمائدة؟ لا أغنية للزفاف[٢١٩]؟لا ماسك؟[٢٢٠].

دوو : نعم، ياسيدتى، أنا سأقدم أغنية للزفاف. لقد وعدت محبوبتى، لقدبدأتها بالفعل. هل تسمعينها سعادتك؟

هويتى : نعم، ياجاك دوو العزيز.

موروز : هل يسر سعادتك أن تأمرى بحجرة، وتكونى وحدك مع صديقك؟ سيكون لكم اختيار الحجرات تستريحون فيها فيما بعد: كل بيتى لكم. أنا أعرف أن زيارة سعادتك للمدينة تكون فى غير هذه الأوقات، أما الآن وقد عرجت بنحو غير سار علىّ، فإننى أكره أن أخلف أية عادة جليلة لسعادتك. ولذلك، فياسيدتى الفاضلة[٢٢١]،

ابيسن: ويحك، أنت عريس وقح فعلا أن تستقبل السيدات الجليلات بهذه الطريقة.

سنتور : إنه عريس[٢٢٢]، وقح فعلاً.

ترووت : قسمًا بهذا النور، أنت تستأهل أن تديث، وأن تمتد قرونك من جانب فى الجزيرة إلى الآخر - (جانبًا لموروز) لا تفهمنى خطأ، ياسيدى؛ أنا فقط أقول هذا لأروح عن السيدات بعض الشىء، لا بدافع أى حقد عليك.

موروز : هل هذا هو قاتلكن المستأجر، ياسيدات؟

ترووت : بعون الله، إن نطقت بكلمة أخرى، فسأدخل السيدة العروس، وأجرعك كأس المر، هل تفهم؟ هيا، تعرف على أصدقائك، وأولئك الذين يحبونك.

الفصل الثالث . المنظر السابع

(يدخل) كلريمونت (مع موسيقين)

كلريمونت : بإذنكن، ياسيدات. هل ترغبن فى سماع أية موسيقى؟ لقد أحضرت لكن العديد من فرق الموسيقى، اعزفوا، ياسادة، جميعًا.

(موسيقى من كل لون)

موروز : أوه، مؤامرة، مؤامرة، مؤامرة علىّ! سأكون اليوم

سندان الحداد يطرقون عليه؛ سوف يطحنون أعصابى نتفًا. هذا أسوأ من ضجيج منشار.

كلريمونت: بل هى شعر، وراتينج[٢٢٣]، وأمعاء. يمكن أن أعطيك المقادير.

تروووت: هدوء يا أولاد.

كلريمونت: اعزفوا، قلت لكم.

تروووت: سكوت، يا أوغاد - أترى من هو صديقك الآن، ياسيدى، تشجع، تظاهر بعزم شهيد. أحبط كل مساعهم بالصبر: إنه مجرد يوم، ولو كنت مكانك، لتحملت فى بطولة. أينبغى لحمار[٢٢٤] أن يفوقنى فى التحمل؟ لا. أنت تكشف عن عجزك بأذنيك الكئيبتين المتدليتين، وتجعلهم يسيئون: تحمل فى شجاعة وثبات.

(لا - فول «مع الخدم» يمر عبر المسرح يشرف على الطعام، تتبعه السيدة أوتر).

انظر ها هنا، ياسيدى، أى شرف غير متوقع ينالك من ابن اختك:عشاء العرس قد جاء، يتقدمه فارس كبيرًا لخدم المأدبة، لمزيد من التكريم والسيدة الرقيقة أوتر، جارتك فى عجيزة أومؤخرة هذا كله.

موروز: هل هذه جورجون[٢٢٥]، هل جاءت ميدسا[٢٢٦]؟ خبئونى، خبئونى!

تروووت: أؤكد لك، ياسيدى، أنها لن تحولك، انظرها برباطة جأش. أرجوك، استقبلها وأكرم ضيوفك. لا؟ - سيدتى العروس، هلا ضيفت السيدات؟ عريسك خجل الوجه هنا -

ابيسين: هل تتفضلين سعادتك، ياسيدتى.

هويتى: بمتعة رفقتك، ياسيدتى.

ابيسين: أيها المحب، أرجوك، قم بواجبك.

دوو: لىّ السرور بأن تأمرينى، يامحبوبتى.

سنيتور: ما رأيك فى ذكائها، ياميفس؟

ميفس: بديع، ممتاز للغاية.

السيدة أوتر: (تحاول أن يكون لها الأسبقية) هذا مكانى.

ميفس: اعذرينى، ياسيدة أوتر.

السيدة أوتر: ولم، أنا عضوة فى الرابطة.

ميفس: لكن دون مهمة فعلية.

السيدة أوتر: ولكنى فى الواقع.

ميفس: سوف نناقش هذا فى الداخل.

(يخرج دور مع السيدات)

كلريمونت: لو أن ذلك استمر أطول قليلا.

تروووت: ولو أنهن أرسلن إلى من يحكم بينهن.

(يدخل أوتر)

كابتن أوتر، هل من أخبار؟

أوتر: لقد أحضرت ثورى، ودبى، وحصانى سرًا. وهناك نافخو الأبواق، وقارعو الطبل، ياسادة، فى الخارج.

(صوت الطبل والأبواق)

موروز: أوه، أوه، أوه!

أوتر: وبعد قليل نشرب جرعة مفرطة فى صحة كل البريطانيين المغاوير.

(يدقون مرة أخرى)

موروز: أوه، أوه، أوه!

(يخرج موروز)

الجميع: وراءه، وراءه،وراءه!

(يخرجون)

الفصل الرابع . المنظر الأول

(يدخل) تروووت، وكلريمونت

تروووت: هل حدث أن تعذب عريس مسكين بهذا الشكل؟. أو أى رجل، فعلا؟

كلريمونت: أنا لم أقرأ عن مثل هذا فى تاريخ البشر.

تروووت: أكيد، لا يملك إلا الذهاب إلى مكان للراحة، بعد كل هذا التطهير[٢٢٧].

كلريمونت: أعتقد أنه ربما يستمر فى ذلك.

تروووت: البصق، والكحة، والضحك، والعطس، وإخراج الريح، والرقص، وصخب الموسيقى، وأوامرها الرجولية والجهورة، ودفعها لكل الخدم على أن يجعلوه يظن أنه قد تزوج من غولة[٢٢٨].

كلريمونت: وهى تنفذها باقتدار.

تروووت: نعم، إنها تنتهز أى فرصة لتتكلم، هذا رأس الأمر.

كلريمونت: وكيف يجتهد دوفاين بحكمة فى إرضائه، وكأن هذا لم يكن من تدبيره!

تروووت: وقد أوشك على أن يسلم بالاعتقاد[٢٢٩].

(يدخل دوفاين)

ها هو قادم - أين هو الآن؟ ماذا جرى له، يادوفاين؟

دوفاين: آه، اسندونى قليلاً، وإلا مت من الضحك. لقد تدثر بكل ما لديه من طواقى النوم، وحبس نفسه أعلى المنزل، أعلى ما يمكن أن يبلغ من ارتفاع بعيدًا عن الضجيج.

لقد نظرت من خلال فتحة، ورأيته جالسًا فوق العارضة الخشبية من السقف، كذاك المنتصب على حصان السراج، فى فليت ستريت(٢٣٠). وسوف ينام هناك.

كلريمونت: ولكن أين عفواتك فى الرابطة؟

دوفاين: انسحبن مع العروس سرًا.

تروووت: أوه، إنهن يلقننها قوانين الرابطة. إن حازت على رضائهن، فستعرف كل أسرارهن فى التو.

كلريمونت: أظن أن ليدى هويتى تبدو على ما يرام اليوم، رغم كل اعتقاداتى لها فى الصباح. أظن أننى سأحتاج إلى مشورتك ثانية، ياتروووت.

تروووت: صدقنى. لقد أخبرتك ما هو صحيح. ينبغى للنساء أن يصلحن من زينتهن فيما ألحقه الزمن والسنوات بملامحهن من أضرار. والمرأة الذكية إذا ما رأت فى نفسها أقل عيب،تكون أشد حرصًا على إخفائه، هذا لصالحها. فإن كانت قصيرة، فلتجلس كثيرًا، خشية أن يظن عند وقوفها أنها جالسة. إن كان لها قدم معيبة، لتطل الثوب الذى ترتديه، وليكن حذاؤها أخف. لو كان لها يد ممتلئة، وأظافر مسمطة(٢٣١)، فلتومىء بالقفاز. لو كانت لها أنفاس كريهة، فلا تتكلم إطلاقًا بجوف خال، ولتتحدث دائمًا من بعد. لو كان لهاأسنان سوداء كالحة، فلتقلل من الضحك، خاصة إن كانت ضحكتها واسعة عريضة.

كلريمونت: أوه، هناك بعض النساء عندما يضحكن، تظن أنهن ينهقن، أمر وقح جدًا و - نعم، وأخريات يتبخترن فى مشيتهن مثل نعامة، ويوسعن خطوهن. لا يمكن أن أتحمل هذا المنظر. أنا أحب التوازن فى الخطو، والتناغم فى الصوت، إنها محاسن أقل ما فيها أنها تجذب النظر للوجوه.

دوفاين: كيف تأتى لك دراسة هذه المخلوقات بهذه الدقة؟ أتمنى لو أنك جعلت منى محترفًا.

تروووت: نعم، لكن لابد إذن أن تغادر غرفتك شهرًا كاملاً وتتخلى عن أماديس دى فول أو دون كيشوت(٢٣٢) المغرم بهما، وتخرج إلى حيث يتوفر الأمر فى القصر، والمبارزات، والعروض العامة، والحفلات، والمسرحيات، والكنيسة أحيانًا: هناك يأتين ليعرضن أزياءهن الجديدة، كذلك ليرين، ويرون. فى هذه الأماكن سيجد الرجل من يحب، من يلاطف، من يلمس مرة، ومن يتمكن على الدوام. التنوع يأسر حكمه. إن المرأة التى تسر رجلا، لا تقفز من السقف حتى يفوز بها وهو ممدد على ظهره يستحلب دخان غليونه. لابد أن يذهب إلى حيث هى تكون.

دوفاين: نعم، ولا يكون الأقرب إطلاقًا.

تروووت: اسكت، أيها المهرطق! هذا الحياء يجعلك تستأهل أن يكون حالك هكذا.

كلريمونت: إنه يقول لك الصدق، يادوفاين.

دوفاين: لماذا؟

تروووت: إن الرجل لا ينبغى أن يشك فى قدرته على قهر أية امرأة. ليفكر فى أنه يمكن أن تكون له الغلبة عليهن، وسوف يكون، لإنه رغم أنهن يتمنعن، فلابد من دغدغة مشاعرهن. بنيلوب(٢٣٣) نفسها لم تستطع أن تصمد طويلا. أو ستند(٢٣٤) كما رأيت، قد نيل فى النهاية. لابد أن ترقب، وتثبت على هدفك. إنهن يرغبن فى ملاطفتنا، لكتبهن يخشين. ومع ذلك فإنهن يتمنين من كل قلوبهن التودد إليهن. امدحهن، نافقهن، لن تعوزك الفصاحة أبدًا أو الثقة، وإن كان بأعف المسرات، ليشعرن بأنهن قد دغدغن بهذا الشكل. ومع الإطراءات، لابد أن تمزج القبل أيضًا: إن رضين بها، فسيرضين بما هو أكثر. ومع أنهن يقاومن، فإنهن يوردن لو حظى بهن.

كلريمونت: أوه، لكن على الرجل أن يحذر الشدة.

تروووت: بالنسبة لهن، فهو عنف مقبول، وغالبًا ما ينال الخطوة الكبرى إن التى تؤخذ عنوة، إن تركتها تذهب دون مس، فسوف تكرهك بعد ذلك وإن بدت لك شاكرة، الوجه ضاحك والهم فى القلب.

كلريمونت: لكن ليس كل النساء يؤخذن بذات الأسلوب.

تروووت: هذا صحيح، ليس بخلاف كل الطيور أو كل الأسماك. إن ظهرت متعلمًا لامرأة جاهلة، أو مرحًا لحزينة، أو ذكيا لحمقاء، إذن، فهى على الفور ستبدأ تفقد الثقة فى نفسها. لابد أن تدخل إليهن من باب قوتهن، بنفس أسلوبهن، لأن العكس يجعل الكثيرات اللائى يهبن من تسليم أنفسهن إلى الرجال النبلاء الجديرين، سيهربن إلى أحضان الرعاع. إن كانت تحب الفطنة، قدم لها شعرًا، حتى وإن استعرته من صديق، أو اشتريته، لتحظى بالخير. لو شجاعة، كلمها عن سيفك، وكن طليقًا فى ذكر المبارزات، رغم أنك قد تكون نازف الجرح

فى القتال لو حيوية، دعها تراك على حصانك أغلب الأوقات، أو تثب فوق المقاعد مظهرًا سلامة ظهرك. لو كانت تحب الملابس الجميلة، أو التزين، فليكن مستشارك الخبيرقربك كل صباح، وخياطك الفرنسى، وحلاقك، وبزازك، إلى آخره. دع مسحوقك، ومرآتك، ومشطك يكونون أعز معارفك. اهتم بزينة شعرك أكثر من اهتمامك بالصالح العام وتمنى اضطراب الكومنولث ولا تؤذى فيك شعرة. هذا سيأسرها. ثم إن كانت طماعة وطلابة، فعدها بأى شىء، واقتصد فيما تقدم؛ وهكذا تبقى على رغبتها قائمة دومًا. ابدو وكأنك تعطى، لكن كن كحقل جاف يدر القليل، أو نرد الحظ التعس للحمقى والمتمنين من المقامرين. لتكن هداياك ضئيلة، ورقيقة، أكثر من كونها ثمينة. دع الحذق يعلو أية تكلفة. قدم الفراولة، أو المشمش، فى إحدى المواسم من السنة، وقل إنها مرسلة لك من الخارج، رغم أنك اشتريتها من «تشيب سايد»[8] ابد إعجابك بكل موضاتها، فإنها فى عادة من عاداتها بإحدى الآلهات. اخترع أحلامًا جميلة لتنافقها، وألغازًا. وإن كانت من علية القوم، فكن لها تابعًا، حب ما تحب، امدح من تمدح، ولا تخفق فى أن تستميل إليك الخدم والحشم، نعم، كل الخدم، وحيهم بأسمائهم.. هذه مجرد تكلفة بسيطة إن استطعت أن تشتريهم بهذا ـ اشتر جانب طبيبها، ووصيفتها. ولن تخسر إن غازلتها أيضًا، وبهذا فهى تحذو الحذو فلاتفشى السر حين تكون فى الجرم شريكة.

دوفاين : على أى موضع فى القصر نمت مؤخرًا حتى تصبح هكذا تنشئة قصور جريئًا ومنطلقًا دون حدود.

تروووت : أقسم بأنى أنا الذى لابد أن يسألك يامن تصغى لهذه الأسرار. لقد بدأت أشك فى صدقك، يادوفاين، تكلم، هل أنت واقع فى الحب فعلا.

دوفاين : نعم، وشرفى، أنا صادق، لقد كان تظاهرًا مكشوفًا أمامك.

تروووت : وأى منهن، قل لىّ؟

دوفاين : بكل عضوات الرابطة.

كليرمونت : أف عليك! سنحجزك فى البيت، صدقنى، فى الأسطبل، وستكون مثل فحل الخيل.

تروووت : لا، أنا معجب به جدًا. الرجال لابد وأن يحبوا بحكمة، وكل النساء. واحدة لأجل محياها، لتسر العين، وأخرى لأجل بشرتها، لتسر الملمس، وثالثة لأجل صوتها، لتسر الأذن. وعندما تختلط كل المقاصد، فلتكن الحواس كذلك، أيضًا. لا تظنه أمرًا غريبًا إن جمعتهن على الوقوع فى هواك قبل حلول المساء!

دوفاين : لابد وأن أقول إن عندك أحسن شراب للمحبة فى العالم، وإنك تستطيع أن تأتى بما يفوق السيدة ميديا، أو دكتور «فورمان»[235].

تروووت : وإن لم أفعل، فلألعب دور المشعوذ مقابل طعامى، والقواد مقابل شرابى ما حييت.

دوفاين : ليكن ذلك، هذا قولى.

الفصل الرابع . المنظر الثانى

(يدخل) أوتر (حاملا كاساته) ودوو، ولا ـ فول

أوتر : أوه، ياربى، ياسادة، لكم اوحشتمونا، أنا وفرسانى هنا!

كليرمونت : لماذا؟ ياكابتن، أية خدمة، أية خدمة؟

أوتر : لتروننى أدرب ثورى، ودبى،وحصانى للقتال.

دوو : نعم، حقًا، الكابتن يقول إننا سنكون كلابه لمطاردتهم.

دوفاين : وظيفة جيدة.

تروووت : هيا، فلنر جولة إذن.

لا . فول : لا ـ فول: أخشى أن يسوء ذلك ابنة عمى إن أتت.

أوتر : لا تخشى شيئًا. ياسادة لقد رتبت مواضع الطبول والأبواق، وأحد الأشخاص ليعطى الإشارة عندما تكون جاهزين. هذا ثورى لى، ودبى للسير جون دوو، وحصانى لسير آموروس. الآن قارع كأسك بكأسى، وكأسك بكأسه، و ـ[236].

لا . فول : ادعو الله ألا تحضر ابنة عمى.

أوتر : وحق القديس جوررج، والقديس أندرو، لا تخف أى أبناء عمومة. هيا، دقوا، دقوا! تنفخ المزامير على نغم أجش[237].

(الطبل والأبواق تعزف ـ يشربون)

تروووت : أحسنت، ياكابتن، فعلا، قتال جيد عند الثور.

كليرمونت : إمساك جيد عند الدب.

تروووت : لو، لو![238] ياكابتن.

دوفاين : أوه، لقد ركل الحصان كلبه فعلا.

لا . فول : لا أستطيع أن أشربه كونى فارسًا.

تروووت : بالله،افعل. ليحرمه أحد من فروسيته.

لا . فول : هذا مخالف لضميرى. ابنة عمى سوف تغضب من

ذلك.

دوو : لقد قمت بدورى.

تـرووت : لقد حاربت فى رفعة وروعة، ياسير جون.

كلريمونت : عند الرأس.

دوفـاين : مثل كلب - دب ممتاز.

كلريمونت : (جانبًا لـ دوو) آمل أن لا تلقى بالا للأمر.

دوو : (جانبًا لكريمونت) ولا كلمة، ياسيدى، أنت ترى أننا نمرح.

أوتـــر : ياسـيـر آمـوروس، لا ينبـغى لك أن تراوغ. لابد من سحبها لأسفل، رغم أنف ابنة عمى.

كلريمونت : (جـانبًا لـ لا - فـول) أقـسم إن لم تتناول شرابك، سيظنون أنك غاضب من شىء ما؟ ستفضح كل شىء إن أبديت أدنى ملاحظة.

لا. فـول: (جانبًا لـ كلريمونت) لن أفعل، سوف أشرب وأتكلم إذن.

أوتـــر : لابد أن تشد الحصان إلى ركبتيه،ياسير آموروس. لا تخشى من أيةابن عم. لقد رمى النرد(٢٣٩).

تـرووت : (جـانبًا لـ دوفـاين وكلريمـونت)أوه، الآن هو فى قـمـة مـزاجـه،وجرأته أقل إشارة تعطى له عن زوجتـه الآن، ستجعله يتذمر برعونة.

كلريمونت : حدثه عنها.

تـرووت : افعل أنت، وسوف أحضرها لتسمع ما يقوله.

(يخرج)

دوفـاين : كابتن أوتر - الحريمى(٢٤٠) قادمة، زوجتك..

أوتـــر : زوجة ! كلام فارغ! تفاهة! ليس هناك شىء كهذا فى الواقع. أنا اعترف، ياسادة أن عندى طباخة، منظفة ملابس، كادحة فى البيت، تخدم أغراضى الضرورية، وتتدرج تحت هذا اللقب لكنه حمار ذلك الذى يخنع إلى حد أن يربط عواطفه بحلقة واحدة. هيا، الاسم يغم النفس. هنا، إملأ ثانية، نوبة أخرى. الزوجات شىء كريه، حيوانات قذرة.

(يملأ الكاسات)

دوفـاين : أوه، ياكابتن.

أوتـــر : جـرداء كـالأرض دومًا، باختـصـار، وفى ثلاث كلمـات. أين السيد تروت؟

دوو : لقد انسل جانبًا، ياسيدى.

كلريمونت : لكن لابد أن تشرب، وتكون مرحًا.

دوو : نعم، اعطها لى.

لا. فـول: وأنا أيضًا.

دوو : فلنمرح.

لا. فـول: مرحًا بقدر ماترغب.

أوتـــر : موافق. من الآن ستأخذ الدب، يا ابن العم، وسير جون دوو الحـصـان، وسـيظل الثـور مـعى. دقـوا ياترتيـونات(٢٤١)التـايمس! الآن وقت الشـراب، الآن نخطو بقدم طليقة.

(يشربون)

(الطبل والأبواق تدق مرة أخرى)

(موروز يتكلم من أعلى، تعزف الابواق)

مـوروز : يا أوغاد، ياقتلة، يا أولاد الحرام، ياخونة، ماذا تفعلون هناك؟

كلريمونت : أوه، أما وقد أيقظته الأبواق الآن، فسنحظى برفقته.

أوتـــر : الزوجة كلب مقيد وضيع، جرو دب نحس، بلا أى ذوق فى الموضة، أو تربية، حيوان شرير.

زوجته حضرت لتسمعه (أحضرها تروت)

دوفـاين : إذن لماذا تزوجت من واحدة، ياكابتن؟

أوتـــر : داهية - لقد تزوجت من ستة آلاف جنيه. هذا ما وقعت فى غرامه. أنا لم أقبّل عفريتتى منذ أربعين أسبوعًا.

كلريمونت : هذا يوقعك فى لوم أكبر، ياكابتن.

تـرووت : لا، ياسيدة أوتر، اسمعيه قليلاً أولاً.

أوتـــر : لها أنفاس أسوأ من أنفاس جدتى، بالصدق.

السيدة أوتر: آه أيـهـا الكذاب الأشـر(٢٤٢)! قـبلنى، ياسـيـد تروت اللطيف، وأثبت أنه نذل مفترى.

تـرووت : أفضل أن أصدقك، ياسيدتى.

أوتـــر : ولها بروكة مثل رطل قنب مصنوعة من خيوط الأحذية.

السيدة أوتر: آه، يا أفعى، يا يبروح!

أوتـــر : أقبح الخلائق وجهًا! ومع ذلك تنفق أربعين جنيهًا سنويًا على الزئبق وعظام الخنازير. كل أسنانهـا مصنوعة فى «لاك فرايرز»، وحاجباها فى «الستراند» وشعرها فى«سيلفر ستريت». كل جزء فى المدينة له فيها قطعة.

السيدة أوتر: لا أستطيع أن أمنع نفسى.

أوتـــر : وهى دائمًا تفك نفسهـا، عندما تذهب للنوم، فى نحو عشرين صندوقًا، ومع ظهر اليوم التالى تعيد تركيبها، مثل ساعة ألمانية ضخمة(٢٤٣)، وهكذا تظهر وهى

تصدر دقات صخب مملة للبيت كله. ثم تهدأ مرة أخرى لمدة ساعة، فقط لأجل أرباعها. هلا قارعتمونى كأسًا بكأس، ياسادة؟

السيدة أوتر: لا، ياسيدى، سأقارعك أنا بضرباتى.

(تسقط عليه، وتضربه)

أوتر: آه، كفاية، يا أميرتى العزيزة!

تروت: اعزفوا، اعزفوا.

(تنطلق الابواق والطبول)

كلريمونت: معركة، معركة.

السيدة أوتر: أنت ياحارس الدببة، أيها الشهير بالوضاعة، هل لأنفاسى رائحة؟

أوتر: تحت التقويم، يا أميرتى العزيزة. انتبهوا لدبى وحصانى، ياسادة.

السيدة أوتر: هل أحتاج إلى أسنان، وحواجب، ياكلب - الثور؟

تروت: اعزفوا، استمروا فى العزف.

(يعزفون ثانية)

أوتر: لا، أنا أقر، تحت التقويم -

السيدة أوتر: نعم، الآن وأنت تحت التقويم، تقر، لكنك لم تقر قبل التقويم ياسيدى. أنت يا يهوذا، تقدم على خيانة أميرتك! سأجعلك عبرة -

(ينزل موروز بسيف طويل)

موروز: لن يكون فى بيتى مثل هذه النوعيات، ياليدى أوتر[٢٤٤].

السيدة أوتر: آه!

(تهرب، يتبعها دوو ولا - فول)

موروز: يالسيدة مارى آمبرى[٢٤٥]، عيناتك خطيرة - أيها الأوغاد، كلاب جهنم، الجهوريون، اخرجوا من بيتى، يا أولاد الصخب والضوضاء، يامن ولدتم فى يوم مايو المنحوس، أو وقت توجه سفينة الموكب إلى وسنمتر[٢٤٦]. (يسوق الموسيقيين خارجًا) نافخ البوق لا يعامل إلا هكذا.

دوفاين: ما الذى يكدرك، ياسيدى.

موروز: لقد شقوا سقفى، وجدرانى، وكل نوافذى حطمًا، بحلوقهم النحاسية.

(يخرج)

تروت: أفضل أن تتبعه، يادوفاين.

دوفاين: سأفعل.

(يخرج)

كلريمونت: أين دوو، ولا - فول؟

أوتر: لقد هربا سويًا، ياسيدى. أيها السيدان العزيزان، تدخلا لتهدئة أميرتى، وتحدثا إلى السيدات الجليلات لأجل خاطرى. هل ينبغى الآن أن أذهب فأرقد مع الدببة طيلة أسبوعين، وأظل بعيدًا حتى أنال الصفح عن الإساءة التى لحقت بها. ألم تريا رأس ثورى، أيها السيدان؟

كلريمونت: أليست فوقه؟

تروت: لا. - (جانبًا لكلريمونت) ربما صنع واحدة أخرى جديدة بمحاكاته لهذه.

أوتر: أوه، ها هى. إن جئتما، أيها السيدان، وسألتما عن توم أوتر، فسنتوجه إلى راتكليف، ونلعب دورًا رغم كل هذه المصائب. لايزال هناك أمل لا بأس به.

تروت: هيا، ياكابتن، انجو مادمت بخير.

(يخرج)

كلريمونت: أنا مسرور أننا تخلصنا منه.

تروت: ما كنت لتكون لولا أننا حرضنا زوجته عليه. مزاحه ممل فى آخره، مثلما هو سخيف فى أوله.

الفصل الرابع - المنظر الثالث

(تدخل) هويتى، السيدة أوتر، ميفس دوو،، لا - فول، سنتور، ابيسين.

(تروت وكلريمونت ينتحيان جانبًا، ويرقبان)

هوبتى: لقد تعجبنا لماذا كنت ترتعشين هكذا، ياسيدة أوتر.

السيدة أوتر: آه ياربى، ياسيدتى، لقد نزل ممسكًا بسلاح مسلول طويل ضخم فى يديه، وكان منظره مرعبًاجدًا! أكيد أنه كان خارجًا عن طوره.

ميفس: وماذا كنت تفعلين هناك، ياسيدة أوتر؟

السيدة أوتر: واحسرتاه، ياسيدة ميفس، كنت أؤدب تابعى، ولم يخطر على بالى أن يصدر أى شىء منه.

دوو: (لابيسين) فعلا، ياسيدتى، يجب أن تفعلى هذا أيضًا: تعلمى: أن تؤدبى السيدة أوتر تؤدب زوجها هكذا، ولذا لا يجرؤ على أن يتكلم إلا تحت التقويم.

لا - فول: وهو يخلع قبعته احترامًا لها: سيفيدك أن ترى هذا.

هوبتى: حقًا، إنها نصيحة جيدة ومجربة: نضديها، ياموروز سأنديك من الآن موروز، كما أنادى سنيتور وميفس: نحن أربعتنا سنكون كيانًا واحدًا.

سنيتور: وسوف تأتين إلى الرابطة، وتعيشين معنا؟

هويتى : اجعليه يدر لبنًا وعسلا.

ميفس: اعرفى كيف تسيرينه فى البداية، وسوف تملكينه دومًا بعد ذلك.

سنيتور: دعيه يخصص لكعربة تحت تصرفك، ووصيفة، وخادمة لحجرتك ودليلاً، وطباخًا فرنسيًا، وأربعة من الخدم.

هويتى : وتذهبين معنا إلى «بدلام»(٢٤٧) وإلى المتاجر الصينية، وإلى البورصة.

سنيتور: هذا سيفتح الباب لشهرتك.

هويتى : ها هى سنيتور قد خلدت نفسها بترويضها لرجلها الشرس.

ميفس: نعم، لقد أصبحت معجزةالملكة.

أبيسين: لكن ياسيدات، هل ترين أنه أمر شرعى أن يكون لكن كل هذا العدد من الخلان، وتبدين الود لهم جميعًا؟

هويتى : ولم لا؟ لماذا ينبغى على النساء أن ينكرن توددهن للرجال؟ هل هن الأفقر أو الأسوأ؟

دوو : هل «التايمس» يفسد ماء الصباغين، ياسيدتى؟

لا. فول: أو مصباح لإنارة عدة مصابيح.

تروت : (جانبًا) أحسنت، يالا ـ فول، يالتعبيره المبتكر الذى استخدمه.

سنيتور: إنما هى خسائر وهمية التى تخشاها النساء فى هذا المضمار.

هويتى : علاوة على أن السيدات لابد وأن يدركن تقدم العمر، ولا يتركن أى وقت دون الاستفادة المستحقة منه. أجمل أيامنا تولى أولا.

ميفس: نحن أنهر لا يمكن استرجاعها، ياسيدتى: إن التى تصد محبيها الآن، ربما عاشت لتصبح عجوزًا شمطاء وحيدة فى سرير صقيعى.

سنيتور: هذا صحيح، ياميفس، فمن الذى سيقوم على رعايتها عند ركوب العربات، إذن؟ أو يكتب لنا، أو يبلغنا الأخبار؟ يعيد ترتيب حروف أسمائنا،ويدعونا إلى «كوكبيت»، ويقبل أيادينا طوال العرض المسرحى، يشهر سلاحه دفاعًا عن كرامتنا؟

هويتى : لا أحد.

دوو : لا، محبوبتى ليست جاهلة تمامًا بهذه الأمور، من بين الحضور هنا من حظى بدلالها.

كليرمونت: (جانبًا) وأى عصا فرس صهول(٢٤٨) هذا!

ابيسين: لكن ليس بنية أن تتباهى به ثانية، أيها الحبيب. وهل لديك الوصفات المضمونة، ياسيدتى، لتحاشى إنجاب الأطفال.

هويتى : أوه، نعم، ياموروز. وإلا فكيف يمكن أن نحافظ على شبابنا وجمالنا؟ إنجاب المرأة الكثير يجعلها تتقدم فى العمر، مثلما تقفر كثرة المحاصيل الأرض.

الفصل الرابع .المنظر الرابع

(يدخل) موروز، دوفاين، (يتكلمان جانبا)

موروز : آه، ياملاكى الملعون، يامن جرنى إلى هذا المصير!

دوفاين: لماذا، ياسيدى؟

موروز : أن يضللنى شيطان شديد الحمق بالقدر الذى عليه الحلاق.

دوفاين: كنت أود لو أنى استحق، ياسيدى، إسداء النصح؛ فما كان ينبغى أن تضع ثقة فى مثل هذا الرسول.

موروز : أتمنى لو أنى أستطيع التخلص منها مقابل فقد عين، أو يد، أو أى عضو آخر، ياابن اختى.

دوفاين: أو ربما، لا قدر الله، ياسيدى، تخصى نفسك من أجل أن تغضب زوجتك.

موروز : لو كان هذا يخلصنى منها! أو أن أقدم كفارة نافلة فى قبة الناقوس فى قاعة وستمستر، فى كوكبيت عند سقوط أيل، فى تاور ـ وورف ـ ماذا بقى من أماكن؟ ـ لندن بريدج، باريس ـ جاردن، بيلنس جيت، عندما يكون الصخب فى ذروته، وبالغًا حدته. لا، أفضل أن أحضر مسرحية حتى نهايتها، لا تحتوى على شىء من معارك البحر، وطبل، وبوق، ورماح.

دوفاين: أتمنى ألا تكون هناك حاجة لمثل هذا، ياسيدى. اصبر، ياخالى العزيز، هذا مجرد يوم، وقد كاد ينقضى الآن.

موروز : آه، سيستمر هذا إلى الابد، يا ابن اختى، أنا أتنبأ بذلك، إلى الأبد والضجيج والضوضاء هما المهر الذى تأتى به الزوجة.

تروت : لقد قلت لك هذا، ياسيدى، ولم تصدقنى.

موروز : وأحسرتاه، لا تنكأ هذه الجروح، ياسيد تروت، لتدمى ثانية، قد كان إهمالا منى. لا تزدنى همًا على همى. لقد تبينت تحققه متأخرًا جدًا فى السيدة أوتر.

ابيسين: (تتقدم للأمام) كيف حالك، ياسيدى؟

موروز : هل سمعتما أبدًا سؤالا لالزوم له أكثر من هذا؟ كما لو أنها لا ترى! لماذا، أنا كما ترين، يا إمبراطورة، يا إمبراطورة(٢٤٩).

ابيسين: أنت لست على ما يرام، ياسيدى! يبدو عليك الإعياء الشديد: شىء ما قد عكر مزاجك.

موروز: أوه، ثرثرة مريعة فظيعة! ألم يكن واحد من هذه يفى؟ فى اعتقادك ياسيدى؟ ألم يكن واحد يكفى؟

تروت: نعم، ياسيدى، لكن هذه مجرد دلائل على العطف الأنثوى، ياسيدى؛ دلائل أكيدة على أن لها صوتًا، ياسيدى[٢٥٠].

موروز: أوه، أهكذا الأمر؟! أو لم يكن خلاف هذا - ماذا قلت؟

ابيسين: كيف أنت وحالك، ياسيدى؟

موروز: هذا ثانية!

تروت: بل اسمع، ياسيدى، عليك أن تتفاهم مع زوجتك بخصوص ما هو مغالى فيه، فصمتها -

ابيسين: يقولون إنك جننت، ياسيدى.

موروز: ليس من العشق، أؤكد لك، هل فهمت؟

ابيسين: آه ياربى، ياسادة! امسكوه، استحلفكم بالله. ماذا سأفعل؟ من هو طبيبه - هل يمكن أن تخبرونى - من الذى يعرف دقة حالته حتى أرسل فى طلبه؟ تكلم ياسيدى العزيز، وإلا أرسلت فى طلب أحد أطبائى.

موروز: ولم، دسى لىّ السم، فربما أموت دون ترك وصية، وأتركك وريثة كل شىء!

ابيسين: ياربى، كيف يتحدث بخمول، وكيف تلمع عيناه! تبدو أصداغه مخضرة! هل ترون ما فيه من بقع زرقاء؟!

كلريمونت: نعم، إنه عصاب[٢٥١].

ابيسين: ياسادة، بالله عليكم، أشيروا على. ياسيدات!، يامحبى، لقد قرأت بلينى وباراسيلوس[٢٥٢]: أما من كلمة الآن لمواساة سيدة مسكينة؟ نعم أنا! أى حظ أصابنى حتى أتزوج من رجل مجنون؟

دوو: سأخبرك، يامحبوتى -

تروت: (جانبًا) يالروعة توجيهها لدفة الأمر!.

(تروت وكلريمونت يمنعان موروز من المغادرة)

موروز: ماذا تقصدون، ياسادة؟

ابيسين: ماذا كنت ستقول لىّ، يامحبى؟

دوو: المرض بالإغريقية يطلق عليه «هوس»، وباللاتينية «جنون»، سُعْر أو إنجذاب اكتئابى، أى، اختلال فى العقل، عندما يصبح رجل مجنونًا نتيجة اكتئاب[٢٥٣].

موروز: هل ستلقى علىّ محاضرة، وأنا حى؟[٢٥٤].

دوو: لكنه ربما يكون مجرد اضطراب عقلى، ومع ذلك، ياحبيبتى، فالاضطراب العقلى ماهو إلا بطاح غولى[٢٥٥] أو نحوه -

ابيسين: نعم، هذا بالنسبة للمرض، يامحبى؟ ولكن ماذا عن العلاج؟ نحن متأكدون بما فيه الكفاية من المرض.

موروز: دعونى أذهب.

تروت: لماذا، سنطلب منها أن تهدىء نفسها.

موروز: أوه، لا، لا تتعبوا أنفسكم فى تهدئتها. إنها مثل أنبوب قناة، سوف تتدفق بقوة أكبر عندما تنفتح مرة أخرى.

هويتى: أقول لك، يا موروز، يجب أن تكلميه عن الأمور الروحية عموما، أو الفلسفة الأخلاقية.

لا.فول: نعم، وهناك كتاب ممتاز فى الفلسفة الأخلاقية، ياسيدتى، عن رينارد الثعلب، وكافة الحيوانات، يسمى فلسفة دونى[٢٥٦].

سنتور: موجود فعلا، ياسير أموروس لا - فول.

موروز: آه، ياللشقاء!

لا.فول: لقدقرأته كله، ياليدى سنتور، لابنة عمى هذه.

السيدة أوتر: نعم، وهو كتاب ممتاز كأى من كتب المحدثين.

دوو: أوف، لابد وأن يقرأ له أحد سنيكا أو بلوتارك، والأقدمين؛ المحدثون لادارية لهم بهذا الداء.

كلريمونت: كيف وقد قللت من شأنهما اليوم، ياسير جون؟

دوو: نعم، فى بعض القضايا: لكن فى هذه هما الأفضل، و «أخلاق» أرسطو.

ميفس: أأنت الذى تقول هذا، ياسير جون؟ أعتقد أنك قد ضللت: أنت تأخذه على مجمل الجد.

هويتى: أين تريستى، وصيفتى؟ سأنهى هذا الخلاف. أرجوك، ياأوتر، نادها. كان كل من أبيها وأمها مخبولين، حين عهدا بها إلىّ.

(تخرج السيدة أوتر)

موروز: أعتقد ذلك - لا، ياسادة أنا وديع. هذا مجرد تدريب. أنا عارف، حفل زواج علىّ أن أتحمله.

هويتى: وواحد منهم - لا أعرف من - شفى بـ» مرهم الرجل المريض»[٢٥٧] وآخر بـ «ذكاء يساوى فلسًا»[٢٥٨].

تروت: علاج رخيص جدًا، ياسيدتى.

هويتى: نعم، إنه فعال جدًا.

(تدخل السيدة أوتر مع تريستى)

السيدة أوتر: سيدتى كانت تنادى عليك، ياسيدة تريستى، ينبغى أن تحسمى جدلا.

هـويـتـى : أوه، تريسـتـى، من كنت تقـولين، أبوك أم أمك، الذى شفى بـ «مرهم الرجل المريض»؟

تريستى : أمى، ياسيدتى، بـ «المرهم».

تـرووت : إذن قد كان «مرهم المرأة المريضة».

تريستى : وأبى بـ ذكـاء يسـاوى فلسا» ولكن كـانت هناك وسـائل أخـرى اسـتـخـدمت. كـان عندنا واعظ يمكن أن يعظ جـمـاعة وهم يغطون فى نومـهم، وقـد أشـارت عليـهـمـا عجوز كانت تداويهما بالذهاب إلى الكنيسة ثلاث مرات فى الأسبوع.

ابيـسـين : ليناما؟

تريستى : نعم، فـعـلا، وكل ليلة كـانا يقـرءان فى تلك الكتب وهمـا نائمان.

ابيـسـين : والله إن فـيـهـا منطقًا مـقنعًا. أتمنى لو أعـرف من أين أحمل على تلك الكتب.

مـوروز : أوه!

لا. فـول : يمكن أن أزودك بواحـد منهـا، ياسـيـدة مـوروز، «ذكـاء يساوى فلسًا».

ابيـسـين : لكنى سأحـرمك منه، ياسـيـر أمـوروس. هل يمكن أن تستغنى عنه؟

لا. فـول : أوه، نعم، لمدة أسبوع أونحو ذلك، سأقرأه له بنفسى.

ابيـسـين : لا، يجب أن أفـعل هذا بنفسى، ينبـغى أن تكون هذه مهمتى أنا.

مـوروز : أوه، أوه!

ابيـسـين : بالتأكيد، سيتحسن بما يكفى، إن استطاع أن ينام.

مـوروز : بل سـأتحسن بما فـيـه الكفاية إن اسـتطعتم أنتم أن تنامـوا. أليس لى من صـديق يمكن أن يسكرهـا؟ أو يعطيها بعضًا من مهدىء، أو مخدر؟

تـرووت : لماذا، ياسيدى، إنها تتكلم بماهو أسوأ عشرة أضعاف، وهى نائمة.

مـوروز : ماذا؟!

كلريمونت : ألم تكن تعـرف هذا، ياسـيـدى؟ إنهـا لا تـتـوقـف طول الليل.

تـرووت : وتصدر شخيرًا كخنزير البحر.

مـوروز : أوه، الخلاص، أيها القدر، الخلاص، أيها القدر! كم من الأسباب توجب للرجل أن يطلق، يا ابن أخى؟

دوفـاين : فى الحقيقة لا أعرف، ياسيدى.

تـرووت : رجل دين أو محامى شرعى لابد وأن يحل لك هذه المشكلة.

مـوروز : لن ارتاح، ولن أفكر فى أى أمنية أخرى، أو راحة، حتى أعرف.

(يخرج موروز ودوفاين)

كلريمونت : وأسفاه، رجل مسكين.

تـرووت : ستسببين فى جنونه فعلا، ياسيدات، إن استمررتن فى هذا.

هـويـتـى : لا، سوف نتركه يلتقط أنفاسه الآن لمدة ربع ساعة، أو ما يقرب.

كلريمونت : أقسم بأنها هدية كبيرة.

هـويـتـى : أهو حارسه(٢٥٩) الذى إنصرف معه؟

دوو : إنه ابن اخته، ياسيدتى.

لا. فـول : سير دوفاين ايوجينى.

سنيـتـور : كفارس يبدو مدعاة للإشفاق الشديد.

دوو : للغاية. هذا الزواج حرمه من كل شىء.

لا. فـول : لا يوجد فى محفظته فلس، ياسيدتى.

دوو : إنه على استعداد أن ينادى طوال النهار(٢٦٠).

لا. فـول : غشاش كبير، لقد خدعنى ليلة أمس فى البريمار(٢٦١).

تـرووت : (جانبًا) بالحديث هذين المغفلين.

كلريمونت : (جـانبًا) نعم، خمـر أوتر قـد قـذفت بمزاجـهـا فـوق المد العالى.

هـويـتـى : ياموروز العزيزة، دعـينا تدخل ثانيـة. تعـجـبنى آراؤك جدًا: سنذهب فنتمدد، ونتحدث هناك.

ابيـسـين : أنا فى خدمتك، ياسيدتى.

(تخـرج هويتى، سنيـتـور، مـفـيس، تريسـتـى، لا ـ فـول، دوو)

تـرووت : اللعنة، سـأجعلهن صـامتات كاللافتات، ورسلهن أيضًا، قـبل أن إنتـهـى. هل تسـمـعـين، ياسـيـدتى العـروس؟ أرجوك، بما أنك امرأة نبيلة، أن تستكملى هذا الحديث عن دوفـاين فى الداخل: لكن اطرى عليـه مـا وسـعك. عظيمة بكل مـا تستطيعين من قوة العاطفة ـ لىَ فى هذا غرض ـ ولتـأدبى هذين المغفلين، جاك دوو، ورفيقه بأى منكدات ها هنا، وسأعلى من قدرك إلى الأبد.

ابيـسـين : كنت بصـدد هذا، ولقـد أغـضـبنى حـتى النخـاع أن أسمعهم يتكلمون بهذه الوقاحة.

تـرووت : أرجوك، نفذى هذا، وسأكون بك مفتونًا على الدوام.

ابيـسـين : هلا دخلت وسمعتنى أفعل ذلك؟

تـرووت : لا، أنا سأبقى هنا. أخرجيهما من زمرة معارفك، هذا كل

مـا أطلب، وعلى أى حـال لن يتـأتى أن يتم هذا بشكل أفضل من إعلاء مقام دوفاين، الذى قللوا من شأنه كثيرًا.

ابيـسن : أؤكد لك، توقع واحدًا منهما حالا.

(تخرج)

كلريمونت : يالهـما من صـقرين وضيـعين(٢٦٢) حـتى يطاردا السيدات هكذا.

تـرووت : نعم، ويضربان فى نسر كدوفاين.

كلريمونت : سيجن عندما نخبره. ها هو آت.

من يأتى فيـهما أولا، سأمسك به. وأنتما - الاثنين - ستـقومان بدور الكورس خلف الستـار، تثبان بين الفصول، وتتكلمان. إن لم ألزمهما الصمت بقية اليوم، إن لم يكن بقية السنة، أكون قد فشلت هذه المرة - إنى أسمع دوو قادمًا. اختبئا، ولا تضحكا، حلفتكما بالله.

(يختبىء دوفاين وكلريمونت)

(يدخل دوو)

دوو : أى طريق يوصل إلى الحديقة فى اعتقادك؟

تـرووت : أوه، جاك دوو! أنا سعيد أنى التقيت بك فى الحقيقة، لا يمكن أن أدع هذا النزاع يتطور بينكما أكثر من هذا. لابد أن أفضه.

دوو : أى نزاع، ياسيدى، وبين من؟

تـرووت : هيا، أنت تداريه: سير أموروس، وأنت. إن كنت تحبنى، ياجاك، لابد وأن تستفيد من فلسفتك الآن، فى هذا الأمر، وأعطنى سيفك. هذا ليس بالزفاف الذى حضرته القـنـاطر(٢٦٣)، رغم أن إحداهم كانت هنا. العروس رجتنى أن لا ترى دمًا يسيل فى عرسها. لقد رأيتها تهمس لى منذ قليل.

دوو : ومع انى آمل أن أنهى تاستيوس، فليس فى نيتى أن أقتل أحدًا.

(يأخذ سيفه)

تـرووت : ألن تنتظر سير أموروس؟

دوو : ليس أنا، أقسم بفروسيتى.

تـرووت : وعلمك أيضًا.

دوو : وعلمى أيضًا.

تـرووت : انصرف، ثم أعيد لك سيفك، وأطلب منك الرحمة، لكن لا تغمده، لأنك ستهاجم. لقد فهمت أنك أدركت ذلك، ومشيت إلى هنا لتتحداه، معتبرًا أن حياتك لا تستحق إن قيست بشرفك.

دوو : لا، لا، لا شىء من هذا، أؤكد لك. لقد افترقنا وأنا وهو الآن صديقان ودودان كأحسن ما يكون.

تـرووت : لا تضع ثقتك فى هذا القناع. لقد رأيته منذ وقت العشاء بوجه آخر. أنا عرفت فى حياتى رجالا كثيرين يغمهم الفقد، أو الموت، أو الإهانة؛ لكنى لم أر أو أقرأ طلبًا عن شخص مكروب بهذه الدرجة مثل سير أموروس. فالقضية، ياسيدى، هى صرف ضيوفه اليوم وقد أعلن ذلك من وراء ظهرك بالتهديد والازدراء. لقد قال لدوفاين إنك حمار بكل ما فى الكلمة من معنى -

دوو : نعم، فليقل ما يسره.

تـرووت : واقسم بأنك جبان عـيانًا بيـانًا، وأنه يعرف أنك لن تتصرف معه أى تصرف رجولى، أو فردى، وبالتالى فهو سينفذ خطته.

دوو : سأرضيه بما يريد، ياسيدى، عدا القتال.

تـرووت : نعم، ياسيدى: ولكن من يعلم ما يرضيه؟ الدم هو ما يتعطش إليه، والدم لابد نائله، وأينما ذهبت فسوف يسيله، ومن يدرى أى أمر سواه يطلب.

دوو : أرجوك، ياسيد ترووت، توسط بيننا.

تـرووت : حسنًا، ياسيـدى، اختبىء هنا فى هذا المدخل حتى أعود.

(يدخل ويغلق عليه)

لا، لابد أن ترضى بإغلاقه عليك، لأنه حرصًا على سمعتى، لا أرضى أن يراك أحد فيلحق بك عار على الملأ؛ حتى أقوم أنا بتدبير الأمر. ياإلهى ها هو قادم؛ اكتم أنفاسك، حتى لا يسمع تنهداتك - فى الحقيقة، ياسير أموروس، هو لم يأت إلى هذه الناحية، أرجوك، كن رحيمًا، لا تقتله؛ إنه رجل ورع مثلك تمامًا: أنت مسلح كما لو كنت تسعى للانتقام من كل سلالته. يادوفاين العزيز، أبعده من هذا المكان. لم أر مطلقًا رجلا هائجًا هكذا، لكنه لابد أن يتحدث إلى أصدقائه، لابد أن يسمع لصوت المنطق - جاك دوو، جاك، هل أنت نائم؟!

دوو : هل انصرف، ياسيد ترووت؟

تـرووت : نعم، هل سمعته؟

دوو : آه ياربى، نعم.

تـرووت : (جانبًا) يالأذن الخوف اللقاطة!(٢٦٤).

دوو : لكن هل هو مسلح على النحو الذى ذكرت؟

تـروت : مسلح؟ هل رأيت إطلاقًا شخصًا يشرع فى الاستيلاء على ممتلكات؟

دوو : نعم، ياسيدى.

تـروت : هذا قد يوضح لك بعض ما تفهمه عن تأهبه، لكن هذا لا يغير من الأصل فى شىء[٢٦٥]. ثمة رفيق خائن فى البيت قد دججه بالسلاح، أو، إن كان من خارج البيت، فإنه توم أوتر.

دوو : فعلا، فهو كابتن، وزوجته قريبته.

تـروت : حصل على سيف قديم ذى مقبضين من شخص ما، ليجز ركبتيك، وهذا السيف قد أفرخ هذا الرمح! لكنه كان مدججًا بالرماح، والمطارد[٢٦٦]، والبنادق، والبنادق الخفيفة، وبنادق المشاة، حتى أنه كان يبدو مثل قاعة قاضى الصلح[٢٦٧]. إن رجلا دخله ألفان فى العام، لا يستطيع أن يدبر كل هذه الأسلحة الكثيرة التى يحملها الآن. وما من مبارز قد خاض كل تلك المبارزات المتتابعة بمختلف السيوف على هذا النحو. ستظن أنه ينوى أن يقتل كل أبرشية «سانت بالتشيرى»[٢٦٨]. لو أنه فقط تمكن من أن يختزن لنفسه مؤنة نصف عام فى بنطاله، فإن تسليحه يكفى لسحق بلد.

دوو : يا إلهى، ماذا يقصد، ياسيدى؟! أرجوك، ياسيد تروت، كن وسيطًا بيننا.

تـروت : حسنًا، سأحاول إن كان سيرضى بساق أو ذراع، وإن لم يكن، فلابد، باختصار، أن تموت.

دوو : أنا أكره أن أفقد ذراعى الأيمن، حرصًا على كتابة القصائد.

تـروت : إن كان سيرضى بإبهام أوأصبع صغير، فكله سيان عندى، لابد أن تثق أننى سأبذل ما فى وسعى.

دوو : افعل، ياسيدى الفاضل.

يعيده إلى مكانه ثانية، ثم يتقدم (دوفاين وكلريمونت)

كلريمونت : ماذا فعلت؟

تـروت : لم يتركنى أفعل شيئًا، فقد فعل كل شىء مقدمًا، إنه يعرض ذراعه اليسرى -

كلريمونت : ذراعه الأيسر لجاك دوو.

دوفاين : خذها بأى وسيلة.

تـروت : كيف؟! أأشوه رجلا للابد من أجل مزحة؟ أى ضمير لك؟

دوفاين : لن يخسر شيئًا: ما من وظيفة لذراعية، إلا أن يأكل اللحم الملعقى[٢٦٩]. علاوة على أنه يستحسن تشويه جسده حاله سمعته.

تـروت : إنه علامة، ومن الفطناء، ومع ذلك، فهو لا يظن ذلك. لكنه لم يخسر سمعته بيننا، فقد اعتبرناه جميعًا حمارًا من قبل. عودا إلى مكانيكما.

كلريمونت : أرجوك، دعنى أتولى أمر الآخر قليلاً.

تـروت : اسمع، أنت ستفسد كل شىء، هذه هى حيلك دائمًا.

كلريمونت : لا، ولكنى سأتكشف بعض الأشياء التى قد تفوتك،وستقر أنت نفسك بأنها حسنة.

تـروت : ثق فىّ، أرجوك، وإلا تخليت عن الأمر.

دوفاين : هيا، عودا إلى مكانيكما.

(يختبئان)

(يدخل لا ـ فول)

تـروت : سير آموروس!

لا ـ فـول : السيد تروت.

تـروت : أين كنت ذاهبًا؟

لا ـ فـول : نازل إلى الفناء لأتبول.

تـروت : لا، إياك، ياسيدى، أفضل له أن تجرب بنطالك.

لا ـ فـول : لماذا، ياسيدى؟

تـروت : (يفتح الباب الآخر) ادخل هنا إن كنت تحرص على حياتك.

لا ـ فـول : لماذا؟ لماذا؟

تـروت : استمر فى التساؤل حتى يقطع حلقك. هيا، ضيع الوقت حتى يعثر عليك ذو الأعصاب الثائرة.

لا ـ فـول : ومن يكون هذا؟

تـروت : إنه دوو، هل ستدخل؟

لا ـ فـول : نعم، نعم، سأدخل: ماالموضوع؟

تـروت : لا، إن كان قد هدأ بما يكفى ليخبرنا بهذا، فهناك بعض الأمل للصفح عنك، لكنه يبدو ثائرًا بلا هوادة.

لا ـ فـول : اللعنة، دعه يثور ـ أنا سأختبىء.

تـروت : افعل، ياسيدى العزيز. لكن ماذا فعلت به فى الداخل فأثاره إلى هذا الحد، أطلقت عليه نكتة أمام السيدات ـ

لا ـ فـول : لا يبدر هذا منى، ما أطلقت يومًا نكتة على أى رجل. كانت العروس تمتدح سير دوفاين، وقد إنصرف غاضبًا، وقد تبعته، خشية أن يعتبرها إهانة منى فيما يخص شرابه من قبل على اعتبار أنى لم أشرب نخب

الحصان كله مملوًا.

تـرووت : اقسم إن هذا جائز، أنت ذاكرتك قوية، لكنه يدور حول المكان جيئة وذهابًا(٢٧٠)، مارًا بكل غرفة من غرف البيت، وفى يده منشفة، صارخًا: أين لا ـ فول؟ من رأى لا ـ فول؟ وعندما استفسرنا أنا ودوفاين عن السبب، لم نستطع أن نستخلص أى جواب منه إلا «آه، أيها الانتقام، ما أحلاك! سأشنقه بهذه المنشفة» ـ وهو ما يقودنا إلى التخمين بأن السبب الأساسى لهياجه هو إحضارك الطعام اليوم وأنت تلف المنشفة حولك، مما أضر بسمعته.

لا ـ فـول : محتمل جدًا، ولكن إن كان غاضبًا بسبب هذا، فإننى سأبقى هنا حتى يزول غضبه.

تـرووت : قرار حصيف مناسب، ياسيدى، إن استطعت أن تنفذه على الفور.

لا. فـول : نعم، أستطيع أن أنفذه: وإلا فسأرحل إلى الريف حالا.

تـرووت : وكيف ستخرج من البيت، ياسيدى؟ إنه يعرف أنك فى البيت، وسيراقبه طوال الليل، وسينالك: وسوف يفوق لأجلك يقظة الشرطى فى حراسته(٢٧١).

لا. فـول : إن كان الأمر كذلك، سأبقى هنا.

تـرووت : إذن لابد أن تتدبر كيف تزود نفسك بالطعام أثناء ذلك.

لا. فـول : إذن، ياسيد تروت العزيز، هلا طلبت من ابنة عمى أوتر أن ترسل إلىّ بفطيرة باردة من لحم الغزال، وزجاجة أو زجاجتين من الخمر، ومبولة(٢٧٢).

تـرووت : كرسى المرحاض، أفضل ياسيدى، الذى هو من اختراع سير أجاكس(٢٧٣).

لا. فـول : نعم، هذا سيكون أفضل فعلا، وحشية قش أرقد عليها.

تـرووت : أوه، أنا لا أنصحك بأن تستسلم للنوم بأى حال.

لا. فـول : ألا ترغب فى ذلك، ياسيدى؟ إذن، لن أفعل.

تـرووت : ومع هذا، فهناك مصدر خوف آخر ـ

لا. فـول : هل هناك، ياسيدى؟ ما هو؟

تـرووت : لا، لا يستطيع أن يفتح هذاالباب برفسة من قدمه، بالتأكيد.

لا. فـول : سأسند ظهرى عليه، ياسيدى. فأنا لى ظهر جيد.

تـرووت : وماذا لو أنه حطمه.

لا. فـول : يحطمه!. لو جروء، فسأخوض ضده معركة مدفعية.

تـرووت : توقع الأسوأ. لقد أرسل بالفعل يطلب بارودًا. وماذا عساه يفعل به، لا أحد يعرف، ربما ليفجر ركن البيت الذى يشك أنك موجود فيه. ها هو قادم، ادخل، بسرعة. (يتظاهر كأن هناك أحدًا موجودًا ليخيف الآخر، الذى يفر داخلا ليخبىء نفسه).

أقول لك، ياسير جون دوو، أنه ليس هنا. ماذا تنوى أن تفعل؟ قسمًا بالله، لن تضع أى منجنيق(٢٧٤) هنا. أموت، ولا يحدث هذا. الن تسمع لى؟ لم أعرف أحدًا إلا وأمكن ترضيته ـ سير آموروس، لن تجدى مقاومة، لقد صنع منجنيقًا من إناء نحاسى قديم ليفتح بابك بالقوة. فكر فى ترضية ما، أو عرض تطرحه عليه.

لا. فـول : (من الداخل) ياسيدى، سأعرض عليه أى شىء يرضيه، أنا أجروء على تقديم أية عروض.

تـرووت : إذن أتترك الأمر لىّ؟

لا فـول : نعم، ياسيدى، سأفى بأية شروط.

(تروت) يدعو كلريمونت ودوفاين للتقدم.

تـرووت : ما رأيكما الآن، أيها السيدان؟ ألم يكن أمرًا صعبًا تحديد أيهما أشد هلعًا؟

كلريمونت : نعم، لكن هذا يخاف من هو أشجع؛ الآخر جبان نشاج، جاك دوو. لكن لا ـ فول جبان بطولى شجاع! يعبر عن خوفه بنظرة ثاقبة، ونبرة جريئة. أنا معجب به بلا حدود.

تـرووت : ألم يكن أمرًا محزنًا أن يبقى هذان دون أن يفضحا؟

كلريمونت : هل أتقدم باقتراح؟

تـرووت : بإيجاز، لأنى لابد وأن أطرق والحديد ساخن.

كلريمونت : هل أذهب فأحضر السيدات لمشهد الختام؟(٢٧٥).

تـرووت : أوم؟ نعم، وشرفى.

دوفاين : دون أذى مهلك؛ ليستمرا فى جهلهما، فيظلان يغلطان، ويهتفان أنهما فطنان، حاذقان كما كانا يفعلان. إنها خطيئة أن نقوّمهما.

تـرووت : حسنًا، فليأتين، فأنا أتدبر الأمر الآن، لغرض ما فى نفس، هيا، ياكلريمونت، أحضرهن، وأخبرهن بكل ما جرى، وأت بهن هنا فى الرواق.

دوفاين : هذا منتهى الغرور منك، إذ تظن أنك لم تنجز الأمر ما لم تنشر على الملأ كل مزحة من مزحك.

تـرووت : سوف ترى مدى ظلمك لىّ، الآن ياكلريمونت، قل إنها كانت خطة دوفاين. (يخرج كلريمونت) لا تثق فىّ إن لم يكن التيار كله لصالحك. هناك مفرش(٢٧٦) فى الحجرة المجاورة، ضعه عليك مع هذا الوشاح على وجهك،

ووسـادة فـوق رأسك، وكن جـاهـزًا عندمـا أنادى آموروس. هيا. (يخرج دوفاين) - ياجون دوو (يخرج دوو من مكمنه).

دوو : هل من أخبار سارة، ياسيدى؟

تـرووت : أقسم إنى قد تبعته، وتجادلت معه جدالا صعبًا لأجل خاطرك. أخبرته أنك فارس، وعلامة، وأنك تعرف أن الشجاعة تكمن فى التحمل أكثر من الإقدام، وفى الكظم أكثر من المنازلة.

دوو : إنها فعلا كذلك، ياسيدى.

تـرووت: وقلت له: إنك لابد أن تتحمل، ولذا، فقد طلب، فى الواقع، ما هو فى تقديرى كثير جدًا.

دوو : وما هو ذلك، ياسيدى؟

تـرووت : شفتك العليا، وست من أسنانك الأمامية.

دوو : هذا غير منطقى.

تـرووت : لا، أنا أخبرته صراحة أنك لا تستطيع أن تتخلى عنها جميعًا. وعليه، وبعد جدال طويل شاق النفس كما تعرف، جعلته يقبل بسنتها الأماميتين، وهذا ما سيناله.

دوو : أوه، هل فعلت هذا؟ إذن سوف يأخذهما.

(تدخل أعلى هويتى، سنيتور، ميفس، السيدة أوتر، ابيسين، ترستى، وكلريمونت).

تـرووت : لكنه لن يفعل، ياسيدى، بعد إذنك. النتيجة هى على هذا النحو: حيث أنكما ستصبحان صديقين حميمين بعد ذلك، وأنه لا ينبغى أن يكون هناك ذكر أو عتاب فى هذا، علاوة على أن لا يتباهى بأنه قد فعل بك أى شىء من هذا بشخصه، فسوف يأتى متخفيًا، يركلك خمس ركلات سرًا، ياسيدى، يأخذ منك سيفك، ويحبسك فى هذا المدخل ما طاب له. ولن يستغرق هذا سوى فترة بسيطة، وسوف نفتحه بعد ذلك على الفور.

دوو : خمس ركلات؟ سينال ستًا، ستًا لنصبح صديقين.

تـرووت : صدقنى، لا ينبغى أن تبتز نفسك إن أرسلت له هذه الكلمة بواسطتى.

دوو : وصلها، ياسيدى. سينالها، وأنا راض من كل قلبى، حتى نكون صديقين.

تـرووت : صديقين؟ لا، ولا يجب أن يكون كذلك، ومن كل قلبى أيضًا، وفق هذه الشروط، وسأكون له عدوًا طالما بقيت حيًا. هيا، ياسيدى، تقبل الأمر بشجاعة.

دوو : أوه، يا ألهى، ياسيدى، هذا شىء لا يذكر.

تـرووت : صحيح. ماذا تعنى ست ركلات لرجل يقرأ سنيكا؟

دوو : لقد نلت مئة، ياسيدى.

تـرووت : سير آموروس! لا كلام من أحدكما للآخر، أو تذكرة بما حدث.

(يتقدم دوفاين، ويركله)

دوو : واحد، اثنان، ثلاث، أربع، خمس. لقد قلت، ساسير آموروس، إنك ستنلينى ستًا.

تـرووت : لا، أنا قلت لك إنه لا ينبغى لك أن تتكلم. هيا، ناوله السادسة كما يريد.

(دوفاين يركله مرة أخرى) - سيفك (دو يعطى ترووت سيتة) الآن، عد إلى محبسك الآمن. ستتقابلان حالا أمام السيدات، ويصبح كل منكما أعز صديق للآخر (دوو يدخل مكمنه) - أعطنى الوشـاح، الآن أنت ستضرب الآخر سافرًا. استعد (يدخل دوفاين) - سير آموروس!

(يخرج لا - فول).

لا. فـول: ما هذا؟ سيف؟!

تـرووت : لم أستطع أن أفعل شيئًا حيال ذلك، ما لم يكن علىّ أن أقبل أنا بالمبارزة. ها هو قد أرسل لك سيفه -

لا. فـول: لن أستلم أى شىء كهذا.

تـرووت : إنه يرغب فى أن تعلقه على حائط، وترطم رأسك فى بضعة مواضع مختلفة على المقبض.

لا. فـول: لن أفعل: أخبره صراحة. أنا لا أستطيع أن أتحمل سفك دمى بنفسى.

تـرووت : ألن تفعل؟

لا. فـول: لا. سأرطمها فى حائط مسطح أملس إن كان هذا يرضيه، وإن لم يكن فليرطمها هو بنفسه لأجل آموروس.

تـرووت : كيف، هذا حران(٢٧٧) غريب عندما يتعهد المرء بالمسئولية لأجلك! لقد عرضت عليه شرطًا آخر: هل ستفى به؟

لا. فـول: نعم، وما هو؟

تـرووت : أنك ستضرب سرًا.

لا. فـول: نعم، أنا راض، بالجانب المنثلم(٢٧٨).

تـرووت : إذن لابد أن تقبل بأن تغمى بهذا الوشاح، وتقاد إليه، حيث سيأخذ منك سيفك، يجعلك تتحمل ضربة على الفم، حمراء(٢٧٩)، وقرص فى الأنف بلا عدد.

لا.فـول: أنا راض. ولكن لماذا ينبغى أن أغمى.

سنتـور: لا، ياسيدتى، ميفس قد خدعت أكثر منا، إن تزكيتها هى التى جعلتهما معروفين فى الرابطة.

مـيـفس: أنا فقط زكيت فطنتهما، ياسيدتى، وأناقتهما. لم أتطرق إطلاقًا إلى بسالتهما.

هـويـتـى: سير دوفاين شجاع، وفطن أيضًا، على ما يبدو.

مـيـفس: وأنيق أيضًا.

هـويـتـى: هل كانت هذه خطته؟

السيدة أوتر: هذا ما قاله السيد كلريمونت، ياسيدتى.

هـويـتـى: ياموروز العزيزة، هلا أحضرته معك عندما تأتين إلى الرابطة؟ إنه يبدو «جنتلمان» للغاية.

ابيـسين: هو كذلك، ياسيدتى، صدقينى.

سنتـور: لكن متى ستأتين، ياموروز؟

ابيـسين: بعد ثلاثة أو أربعة أيام، ياسيدتى، عندما تتوفر لى عربة وخيول.

هـويـتـى: لا، غدًا، ياموروز العزيزة. سنيتور سوف ترسل لك عربتها.

مـيـفس: نعم، فعلا، تعالى، وأحضرى سير دوفاين معك.

هـويـتـى: لقد وعدت بذلك، ياميفس.

مـيـفس: إنه جنتلمان مظهره رفعة الأكابر، ياسيدتى.

سنتـور: ومع ذلك، ليس مزركشًا كالبعض، ياسيدتى، من أصحاب الوجوه الجامدة.

هـويـتـى: نعم، الذين يهندمون كل شعرة فى رأسهم.

مـيـفس: أولئك الذين يلبسون كتانًا أنعم مما نلبسه، ويضفون على أنفسهم أناقة تفوق المخنث الفرنسى(٢٨٠).

ابيـسين: نعم، ياسيدات، هم، الذين يقولون للواحدة منا ما قد قالوه ألف مرة: اللصوص الوحيدون لسمعتنا، ويظنون أنهم يأسروننا بهذا العطر، أو ذاك الشريط الدانتيلا، ويضحكون علينا بلا وازع من ضمير عندما يفعلون.

هـويـتـى: لكن لا مبالاة سير دوفاين لائقة عليه.

سنتـور: يمكن أن أحب رجلا له هذا الأنف.

مـيـفس: أو هذه الساق.

سنتـور: له عين جميلة جدًا، ياسيدتى!

مـيـفس: وخصلة(٦١) أنيقة جدًا.

سنتـور: ياموروز العزيزة، أحضريه لحجرتى أولا.

السيدة أوتر: أرجو حضراتكن أن تتقابلن فى بيتى، ياسيدتى.

تـرووت: (جانبًا لدوفاين) انظر كيف يحدقن فيك، يارجل!. لقد فتن، أؤكد لك.

هـويـتـى: (تقترب من تroووت ودوفاين) لقد كشفت اثنين من الفرسان، ياسيد تroووت.

تـرووت: ليس أنا، ياسيدتى، لقد كانت خطة سير دوفاين، الذى إن كان قد حرم سعادتك من أى موافقة أو تودد نتيجة لهذا، فبإمكانه إعادة الأمور إلى نصابها بتولى ذلك بنفسه.

هـويـتـى: لا شك فى هذا، ياسيدى.

سنتـور: ياربى، ياميفس، إن هويتى تقبله.

مـيـفس: لنذهب نحن أيضًا، ونشارك.

هـويـتـى: وإنى لمسرورة بهذا الحظ، فإلى جانب فضح هذين الدعيين(٢٨١) الفارغين، فهناك كسب لمعرفة منجم ثرى من النبل مثل سير دوفاين.

سنتـور: سنكون جميعًا مسرورات أن نخلع عليه صداقتنا(٢٨٢)، ونراه فى الرابطة.

مـيـفس: لا يمكن أن يختلط بمجتمع أحلى، كما أتوقع، وأتمنى لو اعتقد هو ذلك بنفسه.

دوفـاين: أكون وقحًا إن تخيلت غير هذا، ياسيدتى.

تـرووت: (جانبًا لدوفاين) ألم أقل لك، يادوفاين، إن كل تصرفاتهن يحكمها رأى ساذج، دون منطق، أو علة، إنهن لايدرين لم يفعلن أى شىء، وإن قيل لهن شىء، يصدقن، ويحكمن، ويمدحن، ويستنكرن، ويهوين، ويكرهن، للتنافس بين واحدة والأخرى، يفعلن كل هذه الأشياء مجتمعة لديهن فقط نزعة طبيعية تميل بهن عامة نحو الأسوأ إن تركن لأنفسهن. لكن استمر فى هذا، قد فزت بهن الآن.

هـويـتـى: هل ندخل ثانية، ياموروز؟

ابيـسين: نعم ياسيدتى.

سنتـور: إننا نود لو رافقنا سير دوفاين.

تـرووت: انتظرى، ياسيدتى العزيزة، لقاء الصديقين. بسليدس وأورستيس(٢٨٣): سأحضرهما لكن حالا.

هـويـتـى: حقا، ياسيد تroووت.

دوفـاين: نعم، لكن أيتها السيدات النبيلات، لا تظهرن من ملامحكن أو تصرفاتكن ما يوحى باكتشاف حماقتهما، حتى نرى كيف سيتصرفان ثانية، وبأى ثقة واعتداد.

هـويـتـى: لن نفعل(٢٨٤)، ياسير دوفاين.

سنتور وميفس: قسمًا بشرفنا، ياسير دوفاين.

تـــرووت : سير آموروس! سير آموروس! السيدات هنا.

لا. فــول: (من الداخل) حقًا؟

تـــرووت : نعم، لكن انسل للخـارج مـهـلا مـهـلا، وهن دائرات ظهورهن، وقابل سير جون هنا، كأنها صدفة، عندما أناديك. ـ جاك دوو[٢٨٥].

دوو : (من الداخل) ماذا تقول، ياسيدى؟

تـــرووت : انطلق خلفى بسرعة، ولا تظهر فى نظراتك أى غضب لخصمك ـ الآن، الآن! (لا فـول ودوو يخرجـان من مخبأيهما ويحييان بعضهما بعضًا).

لا. فــول: أين كنت ياسير جون دوو النبيل؟

دوو: أبحث عنك ياسير آموروس.

لا. فــول: أنا! هذا شرف لى.

دوو : بل هو لى أنا، ياسيدى.

كلريمونت: لقد نسيا سيفهما[٢٨٦].

تـــرووت : إنهما يتقابلان فى سلام، يارجل.

دوفـــاين: أين سيفك ياسير جون؟

كلريمونت: وأنت، ياسير آموروس؟

دوو : سيفى؟ لقد أخذه غلامى توًا ليصلح المقبض.

لا. فــول: ومقبضى الذهبى انكسر أيضًا، وأخذه غلامى.

دوفـــاين: أحقًا، ياسيدى؟ كيف تتوافق أعذارهما؟!

كلريمونت: يالوئام المقبضين!

تـــرووت : بل وهو كذلك فى الحدين، أؤكد لك.

السيدة أوتر: ياويلى! ياسيدتى، قد عاد ثانية، الرجل المجنون! هيا! (يخرجون مسرعين هويتى، سنيتور، ابيسين، ميفس، السيدة أوتر، تريستى، دوو، ولا ـ فول).

الفصل الرابع ـ المنظر السابع

(يدخل موروز بسيف فى كل يد، لقد عثر على السيفين مسلولين فى الداخل).

مـــوروز : ما الذى أتى بهذين السلاحين المسلولين هنا، ياسادة؟

تـــرووت : أوه، ياسـيـدى! كـاد يقع حـادث قـتـل هنا منذ ذهبت، فـارسـان تعـاركـا بخـصـوص نيل مـحـبـة العـروس! واضطررنا لأن ننزع منهما سلاحهما، ومن وقتها صار بيتك يُلتمس حصنًا[٢٨٧].

مـــوروز : لأى شىء؟

كلريمونت: للقتل ياسيدى، كونه موات.

مـــوروز : لنيل مودتها؟

تـــرووت : نعم، ياسـيـدى، قـد كـان، ولكن ليس الآن. كلريمونت، احمل لهما سيفيهما الآن. لقد قاما بكل ما كان يمكن أن يقوما به.

(يخرج كلريمونت بالسيفين)

دوفـــاين: هل تحدثت مع محام، ياسيدى.

مـــوروز : أوه، لا! كـانت هناك ضجـة فى المحكمـة، لدرجـة أننى عدت لبيتى مفزوعًا من العنف الذى فاق ما ذهبت لأجله. هؤلاء يتكلمون، وأولئك يردون، بأصـواتهم المتداخلة من استشـهادات، واستئنافات، وادعـاءات، وشـهـادات، وأوامر القبض، وعـرائض، وإدانات، ومناوشـات بين المحامين والقضائيين. لدرجة أن الضجيج هنا صمت بالنسبة لذلك، نوع من هدوء منتصف الليل!

تـــرووت : ولم، ياسـيـدى، إن كنت تريد الخـلاص فـعلا، يمكن أن أحضـر لك هنا مـحـاميًا كفئًا جدًا، ورجل دين مطلع سوف يبحثان فى أدنى ذرة حيرة عندك.

مـــوروز : هل بمقدورك هذا ياسيد تروت؟

تـــرووت: نعم، وهما رجلان حكيمان جدًا، ووقوران، سوف ينهيان الأمر سريعًا فى إحدى الغرف، بهمسة أو همستين.

مـــوروز : ياسيدى الفاضل، هل لىّ أن أتمنى هذه الخدمـة منك، وأضع نفسى بثقة بين يديك؟

تـــرووت: وأسفاه، ياسيدى! لقد شعرت وابن أختك بالخجل، وفى أحيان كثيرة بالهياج منذ ذهابك حين خطر على بالنا هول الإساءة التى تعرضت لها. ادخل، ياسيدى الكريم، وأغلق على نفسك، حتى نناديك، وسنخبرك بالمزيد بعد قليل، ياسيدى.

مـــوروز : افعلا ما يحلو لكما بى، أيها السيدان، أنا أثق فيكما. ولا يستأهل هذا أى تضليل.

تـــرووت : لن تجد أيًا منه، ياسيدى (يخرج موروز) ـ وإنما أكوام، أكوام مرصوصة من التنكيد.

دوفـــاين: ماذا ستفعل الآن، يافطن؟

تـــرووت : أحضـر لى أوتر والحلاق هنا إن استطعت، بأى وسيلة، حالا.

دوفـــاين: لماذا، ما غرضك؟

تـــرووت : أوه، سأجهز منهما أتقى رجل دين، وأرزن محام لأجله.

دوفـــاين: لا تستطيع يارجل، هذه أحلام يقظة.

تـــرووت : لا يأخذك بى ريب. نهيىء فقط روبًا لمحام مدنى بحاشية تزيين، لأحدهمـا، وحلة كـهنوتيـة ذات أكـمـام، للآخر، ونلقنهما بضعة مصطلحات قليلة تجرى على لسانيهما،

وإن لم يظهر هذا محاميًا قديرًا، وذاك قسًا أكيدًا فى هذا الدور، كما نتمنى، فلا تثق فى قدرتى على الاختيار. ذلك دون قصد إساءة لوقار المهنتين، حيث أنهما شخصان يمثلان فحسب بداعى المرح بغية تغذيبه. الحلاق، على ما أذكر، يجعجع باللاتينية.

دوفاين : نعم، وأوتر أيضًا.

تروت : حسنًا، إذن، إن لم أجعلهما يمعنان فى الجدل حول هذه المسألة للتنغيص عليه، فليكن ظنكم بى أنى جاك دوو، أو لا ـ فول، أو ما هو أسوأ. اذهب إلى سيداتك، لكن أعلمهن أولا.

دوفاين : سأقوم بهذا.

(يخرجان)

الفصل الخامس المنظر الأول

(يدخل لا ـ فول، كلريمونت، ودوو).

لا. فول: أين وجدت سيفينا، ياسيد كلريمونت؟

كلريمونت : لقد أخذهما دوفاين من الرجل المجنون.

لا . فول: وهو أخذهما من غلامينا، أؤكد لك.

كلريمونت : جائز جدًا، ياسيدى.

لا. فول: شكرًا، ياسيد كلريمونت العزين، سير جون، وأنا، كلانا، ندين لك بالفضل.

كلريمونت : أود لو أعرف كيف أجعلكما كذلك، أيها السيدان!

دوو : سير آمورووس، وأنا، خادماك، ياسيدى.

(تدخل ميفس)

ميفس : ياسادة، هل مع أحدكم قلم وحبر؟ أود أن أكتب فزورة بالإيطالية لسير دوفاين كى يحلها.

كلريمونت : لا يوجد معى، فى الحقيقة، ياسيدتى، أنا لست كاتبًا عموميًا.

دوو : يمكننى أن أعطيك على ما أظن، ياسيدتى.

(يخرج دوو، وميفس)

كلريمونت : أعتقد أنه يضعها فى مقبض سكين[٢٨٨].

لا. فول: لا، عنده صندوق للأدوات.

كلريمونت : مثل الجراح!

لا. فول: للرياضيات: كُوسه، بوصلاته، وأقلامه النحاس، ورصاصه الأسود، ليرسم خرائط لأى مكان أو شخص أينما ذهب.

كلريمونت : ماذا؟ خرائط لأشخاص؟!

لا. فول: نعم، ياسيدى، عن «نومنتاك»[٢٨٩] عندما كان هنا، وعن أمير مولدافيا، ومحبوبته السيدة إبيسين[٢٩٠].

كلريمونت : انصرف، أمل أنه لم يتمكن من تحديد موقعها[٢٩١].

لا. فول: أنت رجل لطيف، ياسيدى.

(يدخل دوو)

كلريمونت : فعلا. الآن نحن وحدنا، دعونا نعبث قليلاً، ونتكلم مزحًا. ياسير جون، كنت أخبر سير آمورووس هنا، أنكما أنتما ـ الاثنين ـ تأسران السيدات أينما ذهبتما، وأنكما تسوقان الجنس الأنثوى أمامكما.

دوو : بل إنهن يسقننا أمامهن وقت يردن، ياسيدى.

كلريمونت : نعم، أنا أصدق أنهن يفعلن، كذلك، هذا لأنكما غرة الرجال فى عواطفهن، وتوجهان كل تصرفاتهن.

دوو : ليس أنا، بل هو سير آمورووس.

لا. فول: بل أقول هو سير جون.

دوو : وبما عندى من أمل فى الترقى فى الدولة، فأنت الشخص المعنى، ياسير آمورووس.

لا. فول: بل هو أنت، ياسير جون، بما لك من شخصية، وجاذبية وحديث أيضًا.

دوو : ليس أنا، ياسيدى. أنا لا أجيد الحديث ـ ثم إنك تتمتع بالحيوية.

لا. فول: بل أقول، ياسير جون، إنك تأتى وثبًا من طرابلس مما لا يتيسر لى ولو بقدر يسير، ترفع كراسى كثيرة متراصة وتقفز فوقها إن أردت[٢٩٢].

كلريمونت : حسنًا، اتفقا عليها سويًا، أيها الفارسان، لأنكما تتقاسمان فيما بينكما مملكة أو كومنولث عواطف السيدات، أنا أرى ذلك، ويمكن أن أدرك قليلاً كيف يراقبنكما، ويخافنكما، فعلا. يمكن أن ترويا قصصًا عجيبة، ياسيداى، إن شئتما، أنا أعرف.

دوو : فعلا، لاحظنا ذلك بعض الشىء، ياسيدى.

لا. فول: حيث لدينا: تنورات قطيفة، وأسماق جاهزة، وما شابه.

دوو : نعم، و..

كلريمونت : لا قلها، ياسير جون، لا تحسد صديقك على متعة السمع، عندما تحظى بمسرة المذاق.

دوو : لماذا.. أ.. تكلم، ياسير آمورووس.

لا. فول: لا، تكلم أنت، ياسير جون دوو.

دوو : فى الحقيقة، أنت الذى سوف تقول.

لا. فول: بل أنت، فى الحقيقة.

دوو : لماذا، لقد كنا..

لا. فــول: فى السرير الكبير[٢٩٣] فى «وير» معًا على أيامنا. هيا، ياسير جون.

دوو : لا، قل أنت، ياسير أموروس.

كلريمونت: وحكاية أولئك السيدات معكما، أيها الفارسان.

لا. فــول: لا، أعذرنا، ياسيدى.

دوو : لا يجب أن نجرح الأعراض.

لا. فــول: لا يهم، كن هؤلاء أو غيرهن. لقد كلفنا حمامنا خمسة عشر جنيهًا عندما عدنا للبيت.

كلريمونت: هل تسمع، ياسير جون، سوف تخبرنى عن شىء واحد بصدق إن كنت تحبنى.

دوو : إن كان بمقدورى سأفعل، ياسيدى.

كلريمونت: أنت تقيم[٢٩٤] فى نفس البيت مع العروس هنا؟

دوو : نعم، وأتحادث معها كل ساعة، ياسيدى.

كلريمونت: وأى مزاج لها؟ هل هى مقبلة، ومنفتحة، ومنطلقة؟

دوو : أوه، منفتحة للغاية، ياسيدى، قد كنت محبها، وسير أموروس كان على وشك أن يكون.

كلريمونت: هيا، لقد نلتما حظكما منها، كلاكما: أنا أعرف، وقد سمعت الكثير.

دوو : أوه، لا، ياسيدى.

لا. فـول: سوف تعذرنا، ياسيدى. لا ينبغى أن نعرض بالسمعة.

كلريمونت: لا، إنها متزوجة الآن، ولن يؤذيها أى قول؛ ولذلك، تكلم بصراحة: كم مرة، فى الحقيقة؟ وأيكما بدأ أولا؟ هيا!.

لا. فـول: سير جون هو الذى قطف ثمرتها، فى الحقيقة.

دوو : أوه، هو يسره أن يقول هذا، ياسيدى، لكن سير أموروس يعرف ما يعرف بالمثل.

كلريمونت: هل تعرف حقًا، ياسير أموروس؟

لا. فـول: قدرًا ما، ياسيدى.

كلريمونت: لماذا، أنا أمتدحكما، أيها الفتيان. إن الدون «برايدجرووم»[٢٩٥] يعلم القليل من هذا، ولن يعرف من ناحيتى.

دوو : عليه اللعنة، الثور المجنون.

كلريمونت: أخفض صوتك، ها هو ابن أخته قادم مع الليدى هويتى. سيفوز بالسيدات منكما، أيها السيدان، إن لم تنتبها له فى الوقت المناسب.

لا. فـول: لم، إن فعل، سنأتى بهن إلى البيت ثانية، ثق فى هذا - (يخرجون)[٢٩٦].

الفصل الخامس. المنظر الثانى

(يدخل هويتى، ودوفاين).

هويتى : أؤكد لك، ياسير دوفاين، إنه تثمينى وتقديرى لنبلك فقط هما اللذان حديا بى للدخول فى هذه المغامرة، ولم أستطع إلا أن أتحايل لإخبارك بهذا، وما أنا بنادمة على الفعلة، حيث إنه دومًا، لإثبات فضيلة ما فى أنفسنا، فإننا نحب ونود ذلك فى الآخرين.

دوفاين: سعادتك تبالغين فى تثمين نقائصى.

هويتى : ياسيدى، بإمكانى تمييز الجواهر من بلور الصخر[٢٩٧].

دوفاين: هل أنت ماهرة إلى هذا الحد فى الأحجار[٢٩٨] الكريمة.

هويتى : ومع ذلك، فيمكن أن أعانى من هذا الحكم مثلك تمامًا، بالمساواة مع طبقة أو مجتمع سنيتور أو ميفس -

دوفاين: لا، ياسيدتى، أنا أفهم أنها مجرد حاشية لك.

هويتى : إذن، أنت فعلا صديق للحقيقة، ياسيدى. وهذا يجعلنى أحبك أكثر. إن الذى يستهوينى هو الرجل الجوهر، لا الرجل المظهر[٢٩٩]. إنهما لا تدركان الكمال الحق، إنما تحبان بسطحية وفتور.

سنتور : (من الداخل) أين أنت، ياسيدتى الليدى هويتى؟

هويتى : قادمة حالا، ياسنيتور - غرفتى، ياسيدى، سيدلك عليها غلامى[٣٠٠]، وتريستى، وصيفتى، ستكون يقظة دائمًا من أجلك، لا تخش الخوض فى أى أمر لأنها موضع ثقة[٣٠١]. أرجوك، احتفظ بهذه الجوهرة لأجل خاطرى، ياسيد دوفاين.

(تدخل سنيتور)

أين ميفس، ياسنيتور؟

سنتور : فى الداخل، ياسيدتى، تكتب. سأتبعك حالا. سأقول كلمة فقط لسير دوفاين.

(تخرج هويتى).

دوفاين: لى، ياسيدتى.

سنتور : ياسيد دوفاين العزيز، لا تثق فى هويتى، ولا تأمن جانبها مهما فعلت. ياسير دوفاين، إننى أحذرك منها لأنها تنشئة قصور بكل معنى الكلمة، ولا تحب أحدًا إلا لمصلحتها، ولأجل منفعتها، فهى تحب الجميع. ثم إن أطباءها يذيعون أنها ليست سليمة تمامًا - سواء إن كانت تدفع لهم أم لا، الله يعلم، وهى فوق الخمسين أيضًا، وكلها صناعى[٣٠٢]! انظرها وقت الضحى. ها هى ميفس قد جاءت، وجه أكلح منها! لن يعجبك هذا

ولو على ضوء الشموع[٣٠٣]. إن كنت ستأتى إلى حجرتى صباح يوم باكرًا، أو متأخرًا فى إحدى الأمسيات، فسوف أخبرك بالمزيد.

(تدخل ميفس).

أين هويتى، ياميفس؟

ميفس : فى الداخل، ياسنيتور.

سنتور : ماذا لديك؟

ميفس : فزورة إيطالية لسير دوفاين. - فى الحقيقة، لن تريها ياسنيتور[٣٠٤] - عزيزى السير دوفاين، حلها لى. سأطلبها بعد قليل.

(تخرج ميفس وسنيتور)

(يدخل كلريمونت)

كلريمونت : كيف الحال، يادوفاين؟ كيف خلصت نفسك من هؤلاء النسوة؟

دوفاين : اللعنة، إنهن يطاردننى مثل الجنيات، وقد أعطيننى هذه المجوهرات، لا أستطيع الفكاك منهن.

كلريمونت : أوه، ومع هذا لا ينبغى أن تقول هذا[٣٠٥].

دوفاين : ياإلهى هذا ما نسيته، لم أباغت على هذا النحو من قبل. إحداهن تحب النبل، وترشونى بهذه[٣٠٦]. وثانية تتودد إلى بالتحذير، وبهذا تريد أن تتملكنى. والثالثة تأتينى بهذه الفزورة. وكلهن غيورات، وتنقم إحداهن على الأخرى.

كلريمونت : فزورة؟ أرجوك، دعنى أراها.

(يقرأ الورقة)

«سير دوفاين، لقد اخترت هذه الطريقة قصدًا للسرية لأبوح لك. اعلم أن هاتين السيدتين لهما أمل وغرض فى جعلك عضوًا فى الرابطة. إن كان لى أن أتشرف بأن أساهم بأى قدر فى عمل نبيل كهذا، فإنى سأذيع أنى سوف أتناول غدًا دواءً، وأستمر فى هذا أربعة أو خمسة أيام، وربما أطول، لأجل زيارتك[٣٠٧]. ميفس» أقسم إنها داهية! أتسمى هذه فزورة؟ فكيف، فى ظنك، يكون تعاملهن الصريح؟

دوفاين : نحن فى حاجة لتروت ليخبرنا بهذا.

كلريمونت : ونحتاجه فى شىء آخر أيضًا: ففارساه المزيفان بالغا فى الثرثرة وبكل الوقاحة المعهودة فيهما.

دوفاين : أنت تمزح.

كلريمونت : لم يحدث أن باح منتشون بالخمر أو الغرور بهذه الحكايات عن أنفسهم. لا أحسب أن ساق ذبابة يمكن أن توزن مقابل سمعة هؤلاء النسوة إن كان الظن فقط أنهما يقولان الحقيقة، وبالنسبة للعروس، فقد قدما ضدها شهادة مشفوعة على وجه صريح.

دوفاين : ماذا، أنهما قد رقدا معها؟

كلريمونت : نعم، وذكرا أوقاتًا وظروفًا، مع إبداء السبب، لماذا، والمكان أين. لقد كدت أدفعهما على تأكيد أنهما قد أتياها اليوم.

دوفاين : ليس كليهما؟

كلريمونت : بلى، فى الحقيقة، بكلمة أو كلمتين من «حقًا» و«فعلا» أفلحت فى ذلك. كان يمكن أن يدوناها.

دوفاين : إذن سيظلان مصدر مرحنا، كما أرى! سواء أردنا أم لم نرد.

الفصل الخامس . المنظر الثالث

(يدخل تروت).

تروت : أوه، هل أنت هنا؟ تعال يادوفاين. اذهب، نادِ خالك حالا. لقد هيأت رجل الدين، والمحامى، صبغت لحيتهما، وأتممت كل شىء، الوغدان تغير مظهرهما، إنهما مبتهجان، وعليهما سيماء الوقار. علو المنصب يغير أى رجل! أنت ستحرس بابًا، وأنا الآخر، وكلريمونت سيكون فى الوسط، حتى لا تتاح له وسيلة للهرب من سفسطتهما إذا ما أخذهما الحماس. ومن ناحية النساء، فقد أحطت العروس علمًا بما يتوجب عليها - ليقتحمن المكان فى النهاية[٣٠٨]. أوه، سيكون صخب وقرع بلا حدود! هيا، أحضره.

(يخرج دوفاين)

(يدخل كتبيرد متخفيًا فى زى محام، وأوتر فى لباس قس).

تعالا، أيها السيد المحامى، والسيد القس، انتبها لدوريكما الآن، وأدياهما بحذق، لقد دربتما جيدًا، فأحسنا الأداء بالمثل. إن تصادف أنكما نسيتما كلامكما، فلا تكشفا عن نفسيكما بالوقوف فاغرى الفاه، أو بالهمهمة، أو بتحديق أحدكما فى الآخر، وإنما استمرا، وتحدثا بصوت عال، وبحماس. الجأ للحركات العنيفة، وتذكرا فقط مصطلحاتكما وستكونان فى مأمن. سيّرا الكلام الوجهة التى يشاء، وستجدان الكثير مما يفى بالغرض. لكن كونا فى البداية وقورين

وززينين مثل ملبسكما، رغم أنكما سوف تنسيان نفسيكما فيما بعد، وتثبان كزوج حواة على مائدة. ها هو قادم! وقرا ملامحكما، وانظرا باعتداد وأنا أقدمكما.

(يدخل دوفاين ومورّوز)

موروز: هل هذان هما الرجلان العلامتان؟

تروت: نعم، ياسيدى، هلا تفضلت بتحيتهما؟

موروز: أحييهما؟ أفضل أن أفعل أى شىء على أن أهدر الوقت سدى هكذا، ياسيدى. أتعجب كيف أن هذه الصيغ الشائعة مثل «الله يحفظك» و«أهلا وسهلا» صارت عادة فى حياتنا! أو «أنا مسرور لرؤياك»! بينما لا أرى أى جدوى من هذه الكلمات، طالما أن سماع مثل هذه التحية لا يفيد بمثقال ذرة من هو محزون مهموم.

تروت: هذا صحيح، ياسيدى، سندخل فى الموضوع إذن. أيها السيدان، السيد المحامى، والسيد القس، لقد أطلعتكما بما فيه الكفاية على الموضوع الذى جئتما لأجله هنا، وأعلم أنكما لا تحتاجان إلى استيضاح المسألة. هذا هو السيد الذى ينتظر قراركما، ولذا عندما ترغبان، أبدا.

أوتر: تفضل أيها السيد المحامى.

كتبيرد: بل تفضل أنت، أيها السيد القس العزيز.

أوتر: أود أن أسمع القانون يتكلم أولا.

كتبيرد: بل لابد من إفساح المجال للشرع الكنسى.

موروز: لا، أيها السيدان الفاضلان، لا تدخلا بى فى أحاديث مطنبة. أريحانى سريعًا. إلى بقراركما المريح إن كان لى فى الراحة أمل.

لا يعجبنى نزاعكما، أو صخبكما فى المحاكم، وإن لم يكن هذا غريبًا عليكما، فإننى أخبركما هذا. كان أبى، وهو يعلمنى، ينصحنى بأنه ينبغى علىّ دائمًا أن أستجمع قوى عقلى، وأتحكم فيها، لا أن أترك زمام التفكير دون إحكام، ينبغى أن أنظر إلى ما هو ضرورى من أمور فى رحلة حياتى، ولما هو غير ضرورى، فأتقبل الأول وأتحاشى الثانى. باختصار ينبغى أن أخلد نفسى للراحة، وأتحاشى الجلبة، التى تزداد الآن لتشكل طبعًا آخر لى. لذلك، فإننى لم آت لسماع مجادلاتكما الشهيرة أو مواضع صخبكما. لا لأنى أهمل تلك الأشياء التى تضفى وقارًا على الكومنولث، وإنما لمجرد تحاشى جلبة وثرثرة الخطباء الذين لا يعرفون الصمت. وبالنسبة لمسألة الضجيج، فإنى أتوسل إليكما. فأنتما لا تدريان أى شقاء عانيت اليوم، أى سيل جارف من الشر! بيتى ذاته قد قلب رأسًا على عقب من الاضطراب. أنا أسكن فى طاحونة هوائية! الحركة الأزلية هنا، وليست فى «إيلثام»(٣٠٩).

تروت: حسنا، أيها السيد المحامى الكريم، هلا أذبت الثلج؟ والسيد القس سوف يخوض فيه بعد ذلك.

كتبيرد: ياسيدى، رغم أنى الأقل استحقاقًا، والأضعف، فسوف أبدأ بافتراضاتى.

أوتر: هذا افتراض غير صحيح(٣١٠)، أيها السيد المحامى.

موروز: هذا ثانية أيضًا.

كتبيرد: سؤالك هو، كم سبب يتيح للرجل الحصول على طلاق قانونى؟

أولا لابد أن تفهم جوهر الكلمة، الطلاق -

موروز: لا تتنزه عبر الكلمات أيها المحامى الفاضل ادخل فى السؤال مباشرة إذن أجيب، القانون يبيح الطلاق لكن فى حالات قليلة، الرئيسى منها يكمن فى الحالة الشائعة، حالة الزنا.

كتبيرد: لكن هناك اثنى عشر مانعًا قانونيًا كما نطلق عليها، ليست كلها فاسخة للعقد، لكن كما نقول فى القانون، تؤدى إلى بطلانه.

موروز: لقد أفهمتك من قبل ياسيدى الفاضل أن تتجنب الشروحات التفسيرية.

أوتر: لن يتوسع فى هذا أكثر، ياسيدى.

موروز: أكثر بعد!

تروت: أوه، لابد أن تأذن للرجلين العلامتين، ياسيدى. إلى موانعك القانونية أيها السيد المحامى.

كتبيرد: الأول هو مانع الأخطاء.

أوتر: الذى توجد منه أمثلة عديدة.

كتبيرد: نعم مثل الخطأ الذاتى.

أوتر: إذا عقدت على واحدة معتقدًا أنها أخرى.

كتبيرد: ثم خطأ الثروة.

أوتر: إن كانت شحاذة، وظننت أنها غنية.

كتبيرد: ثم خطأ الطبع.

أوتر: إن ثبت أنها عنيدة، أو صلبة الرأس، تلك التى ظننت أنها مطيعة.

مـوروز : مـاذا! أهـذا، ياسيدى، مـانع قـانونى؟ دلانى على واحد، بسرعة، أيها السيدان.

أوتـــر : نعم، قبل الارتباط، لكن ليس بعد الارتباط.

كـنـبيـرد : سيدى القس محق فى قوله. ليس بعد مباركة الزواج. هذا يكون فعلا مبطلا للخطوبة؛ بعد الزواج لا يكون له المعارضة القضائية.

تـرووت : وأسفاه، ياسيدى، أى أمل ضاع منا بهذا التوقيت.

كـنـبيـرد : التـالى هو الوضـعـيـة: إن اعـتـقـدت أنهـا مـولودة حـرة، وثبت أنها سبية، هناك مانع الملكية والوضعية.

أوتـــر : نعم، لكن أيها السيد المحامى، هذه العبودية ملغاة الآن بيننا نحن المسيحيين[٣١١].

كـنـبيـرد : بعد إذنك، سيدى القس -

أوتـــر : بل ائذن لى، ياسيدى المحامى -

مـوروز : لا، أيها السيدان، لا تتشاجرا حول هذه المسألة، إنها لا تتعلق بحالتى؛ انتقلا إلى الثالثة.

كـنـبيـرد : حسنًا، إذن الثالث هو القسم، إن كان أحد الطرفين قد أقسم على العفة. لكن التطبيق، كما قال السيد القس عن الثـانى[٣١٢] قد زال من أوساطنا بفضل النظام الكنسى. الرابع هو درجة القرابة؛ إن كان الشخصان من قرابة الدم بتدرج الدرجات.

أوتـــر : نعم: هل تعرف ماهى الدرجات، ياسيدى؟

مـوروز : لا، ولا يهمنى، ياسيدى، لا تفيدنى فى هذه الحالة، أنا متأكد.

كـنـبيـرد : ولكن هناك فـرعًا فى هذا المانع وهو المتـعلق بالقـرابة الروحية، فإن كنت ياسيدى أباها الروحى فإن الزواج يعتبر حينئذ زواج محارم.

أوتـــر : هذا التعليق سخيف وخرافى، ياسيدى المحامى: أنا لا أستطيع القبول به. ألسنا كلنا إخوة وأخوات، وصلاتنا وثيقة فى هذا، كآباء وبنات روحيين؟

مـوروز : ياطول صبرى! وحتى نضع حدًا لهذا الجدل، لم أكن إطلاقًا أبًا روحـــيًا، لم أكن إطلاقًا أبًا روحـــيًا، فى حياتى، ياسيدى. انتقل إلى ما بعده.

كـنـبيـرد : الخـامس هو جريمة الزنا، الحـالة المعروفة. السادس، اختلاف الديانة:هل استنطقتها من قبل على أى دين هى؟

مـوروز : لا، أود لو أنهـا لم تكن ذات دين بالمرة على أن أقع فى مشكلاتها.

أوتـــر : ربما أوكلت من يقوم بذلك بدلا عنك، ياسيدى.

مـوروز : إطلاقًا، ياسـيدى الفاضل. هيا إلى الباقى. هل تظنان أنكما ستصلان إلى أية نهاية كانت.

تـرووت : نعم، لقد أنجزنا النصف، ياسيدى. هيا إلى الباقى - كن صبورًا، وأمل خيرًا. ياسيدى.

كـنـبيـرد : السابع هو الإكراه: إن تم بالإجبار، أو القوة.

مـوروز : أوه، لا، كان طوعيًا تمامًا، اختيارى أنا، طوعى جدًا.

كـنـبيـرد : الثامن هو الرهبنة: إن كانت قد نالت درجة كهنوتية.

أوتـــر : وهذا خرافى أيضًا.

مـوروز : غير مهم، ياسيدى القس، وإن كنت أتمنى لو أنها ذهبت إلى دير.

كـنـبيـرد : التـاسع هو الارتبـاط: إن كنت مـرتبطًا، ياسيدى، بأى أخرى من قبل.

مـوروز : لقد رميت بنفسى آجلا جدًا فى هذه القيود.

كـنـبيـرد : العاشر هو ما يمس العفاف بين الناس، أى العلاقة غير المكتملة بالزواج.

أوتـــر : نعم، أو عـلاقـة ناشـئـة عن خطوبة، ومـا هو إلا مـانع بسيط.

مـوروز : لا أشعر بهبوب أى نسائم تريحنى من هذا كله.

كـنـبيـرد : الحادى عشر هو قرابة الزنى.

أوتـــر : والتى هى ليست بأقل من الأخرى كقرابة صـحـيـحـة، ياسيدى المحامى.

كـنـبيـرد : صحيح، التى هى نتاج الزواج القانونى.

أوتـــر : كلامك حق، أيها المحامى الفاضل. وينشأ من ذلك، أنه خـلال هذا الاتحـاد الجسدى يمتزج الشخصـان فـإذا هما جسد واحد.

تـرووت : الذروة، الآن قد بدأ.

كـنـبيـرد : أفـهـمك، ياسـيـدى القس: وعلى هذا يكون من ينجب خلال الزنى أبًا فعليًا على حد سواء.

أوتـــر : وابنًا فعليًا الذى قد أنجب.

مـوروز : وأى فائدة تعود على من هذا كله؟

كلريمونت : (جانبًا) الآن قد حميت.

كـنـبيـرد : الثانى عشر، والأخير، إن تصادف أنك غير قـادر على الجماع.

أوتـــر : نعم، وهو مـانع جد خطير، إنه يفسخه تمامًا، ويمحقه. إن كـان عندك برود بين الدليل، فـأنت مـفلح فـيـهـا، ياسيدى.

تـرووت: إذن هناك راحة قد هلت بعد طول انتظار، ياسيدى. اعترف فقط بأنك رجل غير قادر، وسوف تسعى هى لطلب الطلاق أولا.

أوتـر: نعم، أو إن كان هناك عجز مزمن لا شفاء منه، مثل الشلل أو الفيال أو ما شابه.

دوفـاين: إنما البرود هو الطريقة الأفضل، ياسادة.

أوتـر: قولك صحيح، ياسيدى مثلما نص عليه القانون، ياسيدى المحامى.

كتبيرد: فهمتك، ياسيدى.

كلريمونت: (جانبًا) قبل أن يتكلم.

أوتـر: «إن الصبى، أو الطفل القاصر ليس مؤهلا للزواج، لأنه لا يستطيع أن يقوم بواجبه، لذا فإن قدرته الكلية..

تـرووت: (جانبًا لأوتر) عجزك[٣١٣]، يابن الجرادة الزانية[٣١٤].

أوتـر: عجزك، ينبغى أن أقول، هو أقل ما يتوافق مع صحة عقد «الزيجوة».

تـرووت: (جانبًا لاوتر) «الزيجوة» سنسمع منك لاتينية أبعد ما تكون عن الفرح: «الزيجة»، عليك اللعنة[٣١٥].

دوفـاين: (جانبًا لترووت) أنت تشتتهما، يارجل.

كتبيرد: لكن إذن سيكون هناك ارتياب، ياسيدى القس، فى حالتنا، بعد الزواج: وهى الشخص المصاب ببرود - هل تفهمنى، ياسيدى؟

أوتـر: تمامًا، ياسيدى.

كتبيرد: من لا يستطيع أن يتخذ زوجته كزوجة، ربما أبقاها أختًا.

أوتـر: سخف، سخف، سخف، ومجرد تراجع!

كتبيرد: سامحنى. ياسيدى القس، بإمكانى إثبات ذلك.

أوتـر: بإمكانك أن تثبت وصيته، ياسيدى المحامى، ليس إلا. أليست مواد قانونك تنص على أن هذه الأمور تحول دون اتمام رباط الزواج، وإن كان قد تم تبطله.

كتبيرد: أوافقك، لكن كيف يكون إصلاح الأمر، ياسيدى القس؟

مـوروز: أوه هذا ما كنت أخشاه.

أوتـر: إلى الأبد، ياسيدى.

كتبيرد: لو أذنت لى، هذا تزييف فى الدين.

أوتـر: إنه تزييف فى الإنسانية أن تقول هذا. أوليس عديم الفائدة كلية فى الفراش؟ هل بمقدوره أن يفى بالوعد الذى وعد؟ أتمنى لو أعرف.

كتبيرد: نعم، ماذا لو أنه شفى؟

أوتـر: لا يمكن أن يشفى، هذا مستحيل.

تـرووت: لا، ياسيدى الفاضل، أحضر الرجلين المتعلمين[٣١٦]: وإلا سيظنان أنك تهملهما.

كتبيرد: أو أنه نفسه يتظاهر بأنه مصاب بالبرود كراهة لزوجته، أو ما شابه.

أوتـر: أقول، إنه إذن زان صراح.

دوفـاين: إن نقاشهما للمسألة ينم عن علم مستفيض، فى الحقيقة.

أوتـر: ويكون ديوث زوجته، وهذا إيجابى.

مـوروز: سيدى المحامى، دعنى أهرب.

تـرووت: لن ترتكب هذا الغلط فى حقى، ياسيدى!

أوتـر: وعلى هذا، فإن كان ظاهر البرود، ياسيدى -

كتبيرد: نعم، إذا كان، فأنا أوافقك -

أوتـر: لم، هذه هى النتيجة التى توصلت إليها.

كتبيرد: نفس النتيجة التى توصلت إليها.

تـرووت: لا، اسمع النتيجة، ياسيدى.

أوتـر: إذن، تأسيسًا على حالة البرود -

كتبيرد: نعم، حالة برود -[٣١٧]

مـوروز: أوه، يا أذناى!

أوتـر: ربما حصلت على التماس بالطلاق ضدك.

كتبيرد: نعم، طلاق ملتمس ستناله بالتأكيد.

مـوروز: صدى جيد[٣١٨]، سأتحمل.

أوتـر: إذا اعترفت بها.

كتبيرد: وهو ما كنت لأفعله، ياسيدى -

مـوروز: سأفعل أى شىء.

أوتـر: وأخلص نفسى من وطأة الضمير.

كتبيرد: لأنه يعوزك فعلاً[٣١٩] -

مـوروز: لايزال هناك بعد؟

أوتـر: قوة الإنفاذ.

الفصل الخامس. المنظر الرابع

(تدخل ابيسين، هويتى، سنيتور، ميفس، السيدة أوتر، دوو، لا - فول

ابيسين: لن أتحمل هذا الأمر أكثر! أيتها السيدات، أرجوكن، ساعدننى. هذه إساءة لم تحدث فى حق عروس مسكينة من قبل، أن زوجها يتآمر ضدها يوم زفافها، ويأتى اثنان من المرتزقة لمجرد إجراءات شكلية يغويان بالانفصال! إن كان فيكم دم أو نبل ياسادة يامحترمون،

ما كنتم لتتعبون أنفسكم بسماع مثل هؤلاء النمامين عن زوج، أو عقربين يزحفان بين رجل وزوجته.

موروز : يالتنوع وتعدد مصادر عذابى!

هويني : ليجلدهما خدمنا خارج البيت.

سنيتور : سأعيرك خادمى.

ميفس : سنأمر رجالنا فيلفونهما فى بطانيتين فى القاعة.

السيدة أوتر : مثلما حدث مع أحدهم فى بيتنا لأنه كان واقفًا عند الباب يتلصص.

دوو : أمر يبعث على الرضى فى الحقيقة.

ترووت : أيها السيدات والسادة مهلا، اسمعوا قبل المضى فى هذا.

ميفس : أود لو أنهم لفوا العريس أيضًا فى بطانية.

سنيتور : أبدأوا به أولاً.

هويني : نعم، وشرفى.

موروز : أوه، أيها الخلق المجانين.

دوفاين : تحملن، ياسيداتى، لأجل خاطرى.

هويني : نعم، لأجل خاطر سير دوفاين.

سنيتور : سوف يقودنا.

لا. فول : إنه جنتلمان وجيه شجاع، ياسيدتى، كأى من رجال المدينة، ويرتدى ألوانًا جميلة حين يشاء.

ترووت : (جانبًا لموروز) اختصر، ياسيدى، واعترف بعجزك، سوف تكون مثل النار فى تخلصها منك؛ إن هى فقط سمعت هذا يذكر مرة، فلن تفلح فى الإبقاء عليها: ستفر منك فرارها ممن ظهرت عليه الأعراض(٣٢٠).

موروز : سيداتى، إننى أتوق إلى أن تسامحونى.

ترووت : صمتًا، ياسيدات.

موروز : لخطأ ارتكبته فى حق جنسكن كله، بزواجى من هذه السيدة الحسناء العفيفة.

كلريمونت : اسمعنه، ياسيداتى العزيزات.

موروز : كونى مذنبًا لعجز اعتقدت أنه يمكننى إخفاءه قبل أن أتشاور مع هذين الرجلين العلامتين.

ترووت : لكن الآن وقد أيقظا ضميره، فلابد أن يبوح به، ويطلب الرضى بسؤاله العفو منكن على الملأ.

موروز : أنا لست رجلا، ياسيدات.

الجميع : ماذا؟!

موروز : عاجز تمامًا بالطبيعة، مصاب ببرود يحول دون أداء ما علىّ من واجب أو أدنى مهمة يقوم بها الزوج.

ميفس : عليكم به الآن، هذا المخلوق الأعجوبة!

سنيتور : عريس ناقص الرجولة.

هويني : وتعرض الزواج على سيدة شابة.

السيدة أوتر : سيدة متوهجة الأحاسيس.

ابيسين : كفى، إنها حيلة، حيلة، حيلة! إن رائحتها نفاذة، ياسيدات. مجرد خدعة ابتدعها.

ترووت : لماذا، إن كنتن ترتبن فى هذا، ياسيدات، فبوسعكن القيام بفحصه.

دوو : كالعادة، عن طريق لجنة طبية.

لا. فول : نعم، فى الحقيقة، هذا سيكون رائعًا.

موروز : آه ياطول صبرى، هل ينبغى أن أخضع لهذا؟

السيدة أوتر : لا، دعى النسوة يفحصنه، ياسيدتى، يمكن أن نقوم بهذا بأنفسنا.

موروز : ولّوا عنى! هذا أشد سوءًا.

ابيسين : لا داعى، ياسيدات. سأقبله بكل عيوبه.

موروز : أسوأ السوء!

كلريمونت : إذن لن يقع طلاق، أيها المحامى، إن لم توافق؟

كتبيرد : لا، إن كان الرجل مصابًا ببرود، فإننا، نيابة عن زوجته، نمنح التماسًا قانونيًا بالطلاق.

أوتر : نعم، نفس الشىء فى شرع الدين.

موروز : أسوأ، أسوأ من الأسوأ!

ترووت : لا، ياسيدى، لا يبلغ بك القنوط أشده؛ لم يزل لدينا بصيص أمل باق كلما أوشكت راحتنا على أن تتبدد. (جانبًا لكليريمونت) ياكليريمونت قدم فارسيك. ما عساه يكون خطأ الطبع الذى ذكرته لى، ياسيدى القس قبل قليل؟ (جانبًا لدوفاين) - يادوفاين، اهمس للعروس أن تتظاهر بأنها مذنبة وخجلانة.

أوتر : حسنًا، ياسيدى، خطأ العفاف الذى أحجم سيدى المحامى عن إثارته، إن وجدت «مفسدة»(٣٢١) فاقدة عذريتها، أو أنها قد زلت، تلك التى كانت عذراء قبل الخطوبة، وكانت ستتزوج على أنها فتاة.

موروز : وماذا إذن، ياسيدى؟

أوتر : إنها تلغى العقد وتبطله وتجعله كأن لم يكن.

ترووت : إن صح هذا ففيه سعادتنا ثانية، ياسيدى، مرة أخرى، ها هنا فارسان محترمان، سيؤكدان هذا تمام التأكيد.

دوو : أعذرنا، ياسيد كلريمونت العزيز.

لا. فول : سوف تقبل عذرنا، ياسيد كلريمونت.

كلريمونت: لا، يجب أن تصلحا الأمر الآن، أيها الفارسان، لا مفر؛ أنا لن أمضغ كلامًا لأجلكما، ولا لأى أحد: تعرفان أنكما قلتما لى هذا.

دوو : هل هذا تصرف رجل محترم، ياسيدى.

تروووت: (جانبًا لـ دوو) ياجاك دوو، إنه أسوأ من سير آموروس، أشد توحشًا.

(جانبًا لـ لا - فول) - سير آموروس، احذر، هناك عشرة من دوو فى هذا لكلريمونت.

لا. فول: سأعترف بهذا، ياسيدى.

دوو : أتفعل، ياسير آموروس؟ هل ستعرض بالسمعة؟

لا. فول: لقد حسمت رأيى.

تروووت: وينبغى عليك أنت أيضًا، ياجاك دوو، ما الذى يمنعك؟ إنها مجرد امرأة، وفى موقف عار، سيسره هذا.

دوو: أحقًا؟ ظننت أنه سيغضب.

كلريمونت: أسرعا، أيها الفرسان، لابد من إتمام هذا الأمر، فى الحقيقة.

تروووت: إنهما يقولان إن كان لابد، فسيحدث، ياسيدى. لن يتراجعا (جانبًا لـ دوو، ولا - فول) - لا تختبرا مقدار صبره.

دوو : هذا صحيح فعلا، ياسيدى.

لا. فول: نعم، أؤكد لك، ياسيدى.

موروز: ما هو الصحيح، أيها السيدان؟ ما الذى تؤكدانه لى؟

دوو : أننا قد عرفنا عروسك، ياسيدى -

لا. فول: بروح رياضية. لقد كانت عشيقتنا، أو نحو ذلك -

كلريمونت: لا، يجب أن تكونا صريحين، أيها الفارسان، كما كنتما معى.

أوتر: نعم، المسألة هى: هل نلتما حظوة حسية، أم لا؟

لا. فول: حسية؟ وماذا سواها، ياسيدى؟

أوتر: هذا يكفى، إبطال صريح.

ابيسين: لقد انتهيت! لقد انتهيت!

موروز: أوه، دعانى أبجلكما، وأعجب بكما، أيها السيدان!

ابيسين: أنا انتهيت.

موروز: نعم، دون أن أثقب يدى، أنا أشكر هذين الفارسين. ياسيدى القس، دعنى، مع ذلك، أشكرك. (يعطى أوتر مالا).

سنتور: هل اعترفا؟

ميفس: الآن عليكم بهما، فاضحا الأسرار.

تروووت: أنتن ترين أى مخلوقين يمكن أن تمنحنهما ودكن، ياسيدات.

هويتى: أنا أفضل أن أكون شاهدة ضدهما كفارسين مضروبين، الفاسقين على أن أكون شاهدة حق فى المحكمة(٣٢٢).

السيدة أوتر: ياللسيدة المسكينة، كيف تأثرت بالأمر!

هويتى: روحى عن نفسك، ياموروز(٣٢٣)، هذا يزيد مقدار حبى لك -

سنتور: وأنا كذلك، وأعلنها على الملأ.

كتبيرد: لكن أيها السيدان، أنتما لم تكونا على اتصال بها منذ أن عقد عليها.

دوو : ليس اليوم، ياسيدى المحامى.

لا. فول: لا ياسيدى، ليس اليوم.

كتبيرد: إذن، أنا أقول إنه فيما يختص بأى تصرف سابق، فإن الزواج يعتبر صحيحًا وتامًا، ما لم يكن العريس المبجل قد طلب صراحة أمام شهود أن تكون عذراء قبل الزواج.

ابيسين: لا، لم يفعل هذا؛ أؤكد لك، ياسيدى المحامى.

كتبيرد: إن لم يستطع إثبات ذلك، فإن الزواج صحيح بغض النظر عن مقدمات العقد، وإنها لا تبطله بأى حال. هذا هو حكمى، وإنى أعلنه على الملأ.

أوتر: وأنا من رأى السيد المحامى، أيضًا، ياسيدى. إن لم تكن قد طلبت هذا قبل الزواج.

موروز: آه ياقلبى! هلا انتهيتما؟ هلا انتهيتما؟ هذا أسوأ من كل ما هو أشد سوءًا مما يمكن لجهنم أن تبتدعه! أتزوج عاهرة، ووسط كل هذا الضجيج!

دوفاين: ويحكم، أنا أشتم مؤامرة واضحة فى هذا المحامى وهذا القس للإساءة إلى سيد محترم. أنتما تتعمدان إيلامه. أرجوكما، انصرفا، أيها الرجلان.وأنتم، أيها السادة، لقد بدأت أشك فى أنكم ضالعون بنصيب وافر - ياسيدى، هل تتفضل بسماعى؟

موروز: آه، لا تتكلم معى، لا تحرمنى من متعة الاحتضار فى صمت، ياابن أختى.

دوفاين: ياسيدى، أنا لابد أن أتكلم معك. لقد كنت لفترة طويلة قريبك الفقير المحتقر وكم من وساوس ظالمة قوتك ضدى؛ أما الآن فسيظهر إن كنت أحبك، وأحب لك راحة البال، وأفضلهما على كل ما عداهما فى العالم أم

لا. لن أطيل أو أسبب لك إزعاجًا، ياسيدى. إن خلصتك نهائيًا من هذا الزواج غير الميمون، وفورًا، بعد كل هذا التعب وأنت توشك على أن تقطع الأمل، الآن ـ

مــوروز : هذا من المستحيلات.

دوفــابن : ياسيدى، ولئلا تنزعج إطلاقًا من أى مهمة أخرى فى هذا، ماذا أتمنى، أو أستحق منك؟

مــوروز : أوه، ما شئت، يا ابن أختى! أنا وكل ما فى حوزتى ملك لك.

دوفــابن : هل أنال رضاك التام علىّ، وحبك فيما بعد؟

مــوروز : هذا، وأى شىء آخر. افرض شروطك. كل ممتلكاتى لك. أدرها، وسأكون تحت وصايتك.

دوفــابن : لا، ياسيدى، لن أتجاوز المنطق إلى هذا الحد.

ابيــسين : أو ينقلب أيضًا سير دوفاين عدوًا لى؟

دوفــابن : أنت تعرف أننى كنت أتوسل إليك طويلا، ياخالى، أن تخصص لى، من ممتلكاتك التى تدر ألفًا وخمسمائة جنيه سنويًا، خمسمائة مدى الحياة، وتتعهد لى بالباقى فيما بعد. لطالما تقدمت إليك بنفسى، وعن طريق أصدقائى، بهذا كتابة لتوقعه، فما كنت ترضى أو تقبل إطلاقًا. إن تفضلت الآن بإقرار هذا فحسب إقرارًا نافذًا ـ

مــوروز : هو لك، ياابن أختى. سأفعل هذا، وأكثر.

دوفــابن : إن لم أخلصك الآن حالا وإلى الأبد من هذا العبء، فسيكون لك الحق فورًا وأمام كل هؤلاء فى التراجع عن وعدك، وسأصبح عبدًا لن تسلمنى إليك على الدوام.

مــوروز : أين المكتوب؟ سأختم عليه، أو حتى على بياض، واكتب ما شئت من بنود.

ابيــسين : آه، إنى أقل النساء حظًا وأكثرهن بؤسًا!

هويتــى : أويفعل سير دوفاين ذلك؟

ابيسين : ياسيدى الفاضل انظرنى ببعض العطف. (تبكى).

مــوروز : أوه، ابن أختى يعرف أمثالك، انصرفى أيتها التمساحة[٣٢٤].

سنتــور : إنه لا يفعل هذا دون أرضية منطقية.

دوفــابن : تفضل ياسيدى. (يعطيه أوراقًا).

مــوروز : هيا، يا ابن أختى، أعطنى القلم، سأكتب أى شىء؛ تفضل واختم على ما تريد من أجل خلاصى. أنت منقذى، إنى أقدمها لك منحة منى. إن كان فيها كلمة ناقصة أو غير صحيحة لغويًا، فإنى أعلن مقدمًا ـ أننى لن أستفيد من مزاياها.

(يعيد الأوراق)

دوفــابن : إذن ها هنا خلاصك، ياسيدى (يخلع باروكة ابيسين) لقد تزوجت صبيًا: ابن رجل فاضل، ولقد دربته طوال نصف عام على أدق خططى وحيلى لأجل هذا الاتفاق الذى توصلت إليه معك الآن ـ ماذا تقول، ياسيدى المحامى؟ هذا من موانع العدل[٣٢٥]، كما آمل، خطأ ذاتى.

أوتــر : نعم، ياسيدى، من الدرجة الأولى.

كتبيرد : من الدرجة الأولى.

دوفــابن : أشكرك ياسيدى المحامى كتبيرد، وأيها القس أوتر. (ينزع لحيتهما المستعارتين وثوبى تنكرهما) أنت مدين لهما ياسيدى، هذين اللذين تحملا هذا العناء لأجلك، وصديقى السيد تروت، الذى هيأ لهما القيام بهذا العمل. الآن، هل يمكن أن تدخل، وترتاح، اخل بنفسك ما شئت، ياسيدى. لن أزعجك حتى تزعجنى بجنازتك التى لا يهمنى متى يحين أجلها (يخرج موروز). ياكتبيرد، إنى أجعل ملكية رخصتك نافذة. لا تشكرنى إلا بانحناءة، ياكتبيرد[٣٢٦]. وأنت ياتوم أوتر، أميرتك[٣٢٧] ستصالحك ـ ما رأيكما الآن أيها السيدان؟ لماذا تحدقان فىّ؟

كليرمونت : صبى!

دوفــابن : نعم، السيدة ابيسين.

تــروت : حسنًا، يادوفاين، لقد خدعت صديقيك فيما يتعلق بالنصف الأفضل من إكليل الغار بإخفاء هذا الجزء من الخطة! لكنها جلبت لك خيرًا كثيرًا أنت تستحقه، يابنى. وأنت ياكليرمونت لإحضارك غير المتوقع لهذين الاثنين للاعتراف. تمتع بإعجابى بلا حدود. لا ياسير دوو. وياسير لا ـ فول، أنتما تريان السيدة التى حظيتما بودها! نحن جميعًا شاكرون لكما، وهذا ما ينبغى على أى نوع أنثوى هنا، خاصة من كذبتما عليها، هذا ما قصدتما، أنا متأكد[٣٢٨] ـ لكن بما أننا ألصقناها بكما اليوم عبر شخصيكما الوهميين، فإنه ختامًا، لابد لهذه الأمازونية، بطلة النوع[٣٢٩] أن تضر بكما الآن عن وسع، للتعريض الصريح الذى لحق بالسيدات من قبل وقواقين أمثالكما. فأنتما تنتميان لأولئك الذين حين لا

يملكون ميزة أو ثروة تجعلهم يأملون فى الفوز بالنساء، فإنهم يرقدون مع سمعتهن، ويعرض بشرفهن فى القيل والقال. انصرفا أيها العثتان البينتان لهؤلاء، ولكل عفيفات السيدات.انصرفا، سافرا، لتركبا سيقانًا ووجوهًا، تعودا للوطن بشىء جديد يضحك عليه الخلائق. أنتما تستحقان العيش فى جو فاسد مثل الذى تغذيان به الشائعات. (يخرج دوو ولا - فول) ياسيداتى، أصابكن بكم هذا التحول الجديد! لكن ها هو يقف ذلك الذى قد أبرأ سمعتكن. احذرن بعد ذلك من مثل هذه الحشرات. ولا تدعن ذلك يزعجكن لكشفكن أية أسرار لهذا الشاب: لايزال بعد صبيًا، وسوف يقوم بزيارة طويلة لمدة عام. فى غضون ذلك، نتعهد نحن جميعًا بحفظ سره الذى يمكن أن يتحدث على نحو طيب عن صمته - (يتقدم) أيها المتفرجون، إن كانت هذه الكوميديا قد أعجبتكم، فانهضوا مرحين، وأما الآن وقد انصرف موروز للداخل، فصفقوا، فإن لم يشفه هذا الضجيج، فعلى الأقل يسره. (يخرج)

تمت بحمد الله تعالى

هوامش:

(١) ربما لأن المسرحية قد أوقفت عن العرض عام ١٦١٠

(٢) هذا الكلام يبعث على الحيرة لأنه صادر من بن جونسون الذى كان يعيب على شكسبير ما كان يذاع عنه من أنه لا يعدّل فى سطر قد كتبه.

(٣) لأن جونسون كان مغرمًا بالأكل، فهو ميّال إلى استخدام مصطلحات الطهى.

(٤) منطقة كانت تقدم فيها المسرحية، وكان يأتى منها المخنثون والمتشبهات من النساء بالرجال، كما كانت تأوى اللصوص والعاهرات كمركز للجريمة والمآثم.

(٥) البيوتات والحانات التى كانت تقدم الطعام لزبائنها.

(٦) كان «الشاعر» أكثر الألقاب إزدراءً، واللقب يشمل الكتاب المسرحيين، ذلك أنهم كانوا هجائين، يهجون الحماقات والشرور فى المجتمع.

(٧) المعنى الحرفى «تحت الرجل» وهو معنى فيه إيحاء جنسى يعضده قول كلريمونت اللاحق، والذى يشير إلى تمديد الغلام على آلة التعذيب التى كانت تشد فيها أطراف المعذب.

(٨) الأسل، نبات تستعمل أوراقه الإسطوانية الطويلة فى صنع مقاعد الكراسى، وغيرها، ومنه ما ينثر فى أرضية البيوت.

(٩) أسماء خيول فى ذلك العصر.

(١٠) يقصد الفترة التى تنظر فيها القضايا فى المحاكم. وهو هنا يستخدم إشارة للقضايا ملمحًا لأهمية قضية الوقت.

(١١) يعتبر أن الشكوى من الإعمال داءً نتيجة الكآبة.

(١٢) يقصد الفيلسوف الرواقى، سنيكا (٢٤ ق.م - ٦٥م) وهو خطيب وزعيم سياسى رومانى،وكاتب مسرحى معروف.

(١٣) ربما يقصد الأمور التى تدخل فى القضية.

(١٤) باستخدام حجر تستعمله النساء فى حك القدمين، أو ما أشبه. كلريمونت هنا يقلب الترتيب فى خطوات التزين النسائية، بادئًا من حيث تنتهى المرأة.

(١٥) اللوحات الزيتية على الأقمشة.

(١٦) البوابة الشرقية الرئيسية فى سور مدينة لندن القديمة، هدمت عام ١٦٠٦ ثم أعيد بناؤها عام ١٦٠٩.

(١٧) تمثالان أنثويان يمثل إحداهما السلام بحمامة فضية على ذراع، وإكليل زهر على الآخر، والتمثال الآخر يمثل حب الخير بطفل على صدر أنثى وآخر تقوده بيدها. وهذا إيحاء بأن مدينة يسودها السلام والحب والخير هى مدينة مبارك فيها.

(١٨) المرض هنا يقصد به الاكتئاب.

(١٩) كان يرتديها الكبار سنًا، والأطفال بالنهار.

(٢٠) كن ينادين على سلعهن بالصوت العالى.

(٢١) الكلمة تعنى أيضًا «الكناسون» ورغم أن هذا المعنى هو الموجود فى قاموس اكسفورد، إلا أنه لا يتناسب والمعنى هنا، والوزال شجيرة تحمل أزهارًا صفراء اللون.

(٢٢) يعمل فى صنع سبائك من الرصاص والقصدير وأوان مصنوعة من البيوتر.

(٢٣) كان صبيان الحرف فى ذلك اليوم يحطمون المواخير والمسارح.

(٢٤) كان يتولى المناداة على التوقيت بالساعة رانًا جرسًا. وكان يصيح على المزادات والممتلكات المفقودة.

(٢٥) المبارزون كان تدق لهم الطبول خلال الشوارع للإعلام عن مبارياتهم.

(٢٦) حين كانت الأجراس تدق إحتفالا بتلك المناسبات.

(٢٧) يقصد «الطاعون» حيث كان المرض موجودًا أثناء عرض المسرحية. وكانت أجراس الكنائس تقرع للموتى، وفى بعض الأبريشيات لم تكن تتوقف عام ١٦٠٩.

(٢٨) كانت من الصوف.

(٢٩) أنبوب فى الحائط للاتصال بالأماكن المختلفة فى البيت.

(٣٠) الكلمة تعنى أيضًا «وحش»، لكننا آثرنا هذا المعنى لاعتقادنا أنه أكثر إنسجامًا مع السياق.

(٣١) غرض موروز من حرمان دوفاين من الميراث.

(٣٣) حيث كانت طلقات المدفعية تحيى الذكرى السنوية لجلوس الملك على العرش، على ضفة نهر التايمس قرب برج لندن.

(٣٤) نفهم من هذا أن الزوجة هى التى كانت تدفع المهر لزوجها. وهو معمول به فى بعض البلدان حتى الآن، ومثال ذلك الهند.

(٣٥) أى براعة الحلاقين فى استعمال أصابعهم أثناء الحلاقة.

(٣٦) على الزواج.

(٣٧) كان يعتقد أن النجوم لها دخل كبير فى حظوظ البشر من خير وشر.

(٣٨) لزيارة أبيسين.

(٣٩) جيو فانى بوكاتشيو (١٣١٣ - ١٣٧٥) كاتب وشاعر ايطالى. والمعنى هنا يشير إلى مجموعته المكونة من مائة حكاية تتعلق بحماقات الغزل.

(٤٠) المعنى أصلا «تمثال» أو «موديل» لعرض الملابس. وهنا رجل قليل الحجم، أقل من الرجل العادى، يتلاعب به كدمية. ربما استوحى جونسون هذا من مسرحية شكسبير «الليلة الثانية عشرة».

(٤١) انظر أيضًا الفصل الخامس، المنظر الثالث.

(٤٢) يدفع لعروض خاصة من قبل الممثلين المحترفين.

(٤٣) الشارع الرئيسى بين «وستمنستر» والمدينة؛ معظم رجال الطبقة العليا كانوا يسكنون فيه.

(٤٤) حيث كانت البضائع الشرقية تعرض؛ كذلك كانت أماكن للمواعدات الغرامية. فهذه المنطقة كانت تقع فيها أيضًا محلات الخياطين ومحلات بيع القبعات النسائية فى الستراند.

(٤٥) تورية بناها على قول كلريمونت السابق عليه.

(٤٦) الأولاد المعربدون الذين يدخلون فى مبارزات فردية لأقل إساءة تلحق بهم. وهى صحبة غير سارة للمعطر المتأنق لا - فول.

(٤٧) مالكة متجر صينى ولكن خلال لبس العبارة، فإن لا - فول يوصى بأن قريبته كانت محظية الطبقة الراقية.

(٤٨) الأزرق السماوى.

(٤٩) لا - فول، ودون قصد، يومىء إلى المعطف المتعدد للألوان للمهرجين.

(٥٠) طعام مترف.

(٥١) طائر طويل المنقار، شبيه بالكروان.

(٥٢) عملة نقدية إنجليزية قديمة تساوى ٢٥ بنسًا.

(٥٣) جنتلمان كان يقوم على خدمة الطبقة العليا.
(٥٤) إيرل اسيكس (وإيرل رتبة نبيلة) ارخص الفروسية حين ضاعفها بالعشرات بينما كان فى حملته الانتخابية الايرلندية.
(٥٥) مغامرة غير ناجحة لاسيكس ضد الازوار.
(٥٦) استولى عليها الاسطول الانجليزى.
(٥٧) هناك تفسيرات أخرى «لىَّ نصف نجاحك مع السيدات»، شريك فى هذه السلعة.
(٥٨) فيما يتعلق بمناظر المسرحية وتقسيمها، انظر المقدمة.
(٥٩) سبق الإشارة إليه فى الفصل الأول.
(٦٠) بعد كل فترة توقف تتلوها كلمة أو عبارة استحسان من «موروز»، ندرك أن «ميوت» قد أومىء أو انحنى.
(٦١) هذا المعنى لم يتضمنه قاموس اكسفورد اللغوى قبل عام ١٧١٠، وهو دلالة على السلوكية الشاذة لموروز؛ فرش السجاجيد على الأرض لم يكن معروفًا بشكل واسع فى إنجلترا إلا فى القرن (١٨).
(٦٢) كان هناك خلط كبير بين التركى والمسلم، وهو هنا يقصد الحاكم (انظر المقدمة).
(٦٣) كان غالبًا ما يعلن الرسول عن وصوله بنفخ البوق.
(٦٤) كانت مدة الرهينة المفروضة منهم على أنفسهم تصل إلى ٥ سنوات من الصمت.
(٦٥) إله الصمت والسرية - الابن المنتقم لاوزوريس، يصور بأصبع فى فمه وأحيانًا بعصا.
(٦٦) يرد عليه الإهانة.
(٦٧) يستعمل موروز الكلمة التى سبق وأن استعملها تروت تحقيرًا له.
(٦٨) عند جسر لندن، أثناء الجزر أى عندما ينفتح الماء خلال الفتحات الضيقة للجسر.
(٦٩) اسم كنيسة.
(٧٠) اسم كنيسة.
(٧١) نتاج كيميائى يتم الحصول عليه بالتصعيد، وكان يستخدم سمًا للفئران.
(٧٢) فى قتال مع العنكبوت كان يشاهده المتغندرون.
(٧٣) عمل مسرحى لغته الشعر، تصاحبه الموسيقى والرقص والأزياء الجميلة، كان معروفًا فى القرنين ١٦، ١٧، وجونسون من أشهر من كتب هذا اللون.
(٧٤) المطهرون فئة دينية كانت صارمة فى تعاليمها وأشهرهم كرمويل الذى أسس أول وآخر جمهورية فى تاريخ الانجليز حتى الآن. كان جونسون يناصبهم العداء.
(٧٥) مشاهدتهم فى مستشفى «بدلام» كانت متعة شائعة آنذاك، وكانت مقابل أجر رمزى.
(٧٦) والد «إدوارد المعترف» ٩٧٨ - ١٠١٦، وكان يعرف بـ «ايثلرد اللا متأهب».
(٧٧) إدوارد المعترف أو المجاهر (المجاهر بإيمانه بالنظرية رغم الاضطهاد والتعذيب).
(٧٨) لاعب القفز العالى بالعصا، والمعنى فيه إيحاء جنسى.
(٧٩) مهارة الفرنسيين فى المشى على الحبال كانت معروفة آنذاك فى الأدب المسرحى.
(٨٠) رقصة سريعة مفعمة بالحيوية.
(٨١) كانت تزين بها أقدام المتأنقين فى ملبسهم.
(٨٢) أى من المطهرين.
(٨٣) رجال الدين المطهرين الذين سحبت منهم رخصهم للوعظ بعد مؤتمر قصر هامبتون عام ١٦٠٤ حين رفضوا التصرف وفقًا لقوانين المؤتمر.
(٨٤) الكلمة هنا معنى مشترك بين الخادم والحبيب فى استخدامات اللغة آنذاك.
(٨٥) يتضمن المعنى أن كل هؤلاء الخدم يكونون هناك ليقوموا بدور المراسلة فى العلاقات الغرامية السرية.
(٨٦) تاجر الأقمشة وخاصة الحريرية والقطيفية.
(٨٧) حيث كانت سباقات الخيل تعقد فى شهر مارس مما جعلها مصيفًا مفضلاً.
(٨٨) كانت منطقة توجد بها الحمامات الصحية.
(٨٩) يرى بعض النقاد أن دانيال، كما يستوحى من النص، هو المشار إليه، ولا داعى لإقحام شكسبير، ودانيال شاعر معروف آنذاك. ويرى آخرون أنه ربما يكون دكر أو مارستون، وهما مسرحيان معاصران لجونسون، وعلى أية حال فإن الند الأول لجونسون كان شكسبير، وليس من المستبعد أن يكون هو المقصود هنا، خاصة وأن دانيال ذكر فى نفس الجملة مع سبنسر، ومقارنة جونسون أسلوبيًا لا ترقى إليها منافسة سوى من صديقه «اللدود» شكسبير.
(٩٠) يقصد فن التنجيم والشعوذة.
(٩١) مادة لزجة تطلبها الأغصان لالتقاط صغار الطير.
(٩٢) الغوقس: طحلب أسمر يقال إنه كان يغسل به الوجه ويدهن.
(٩٣) المعنى فيه إيماء للمحب. وهذا معنى حائز عودته على ما سبقه من وكالة تعنى فى السياق هنا إشارة قانونية بنقل الملكية من شخص لآخر.
(٩٤) تلاعب بكلمة «كيتبرد» التى تعنى «قصاص اللحية».
(٩٥) كان الحلاق يقوم بدور الطبيب أيضًا آنذاك.
(٩٦) تعنى مزدوج الجنسين.
(٩٧) يقصد دوو.
(٩٨) مادرجل: شكل شعرى كان يعتبره جونسون خفيفًا لا يرضيه، وهى أغنية أو قصيدة غزلية قصيرة.
(٩٩) «فى الختام» التى تعنى ختام عبارة موسيقية، فيها مفارقة ساخرة، فالقضية ليس فيها جرس موسيقى راق.
(١٠٠) ذكر فى الفصل الأول.
(١٠١) سبق ذكره كذلك فى الفصل الأول.
(١٠٢) مؤرخ أثينى يعتبره البعض من أعظم المؤرخين اليونان على الإطلاق.
(١٠٣) كورنيليوس تاسنيوس (٥٦م - ١٢٠م) خطيب ومؤرخ رومانى.
(١٠٤) صاحب الالياذة والاوديسة، الملحمتان الشهيرتان فى الأدب اليونانى.
(١٠٥) إشارة للالياذة حين أعطى أجامنون لحم الثور لاجاكس.
(١٠٦) الكاتب اللاتينى، أشهر أعماله الإينارة.
(١٠٧) كاتب وناقد لا تينى مشهور، أشهر أعماله «فن الشعر» فى النقد، وله كتابات هجائية لاذعة.
(١٠٨) جايوس فاليرويوس كاتولوس (٨٤ - ٥٤ ق.م) شاعر غنائى رومانى.
(١٠٩) جوفنيال (٦٠؟ - ١٣٥ ق.م) شاعر رومانى يعتبر أكبر شعراء الهجاء عند الرومان.
(١١٠) كاتب إيطالى لامع (١٤٥٤ - ١٤٩٤)م.
(١١١) كاتب رومانسى لاتينى كان جونسون يعترض على تفكك حكاياته.
(١١٢) خلط مشوش من الشعراء الكلاسيكين الكبار والصغار والمجهولين مع الكاتب الإيطالى بوليشان (انجلو بوليز انيو ١٤٥٤ - ١٤٩٤)م الذى أدخل اسمه بشكل ساذج. ويعتقد دوو هنا أن سنيكا الكاتب التراجيدى يختلف عن سنيكا السابق ذكره.
(١١٣) المعنى هنا اللاتينى ويعنى «المجموعة المعيارية للقانون المدنى»، وكلمة «سنتاجما» كلمة أغريقية لها نفس معنى كلمة «كورباس» اللاتينية، المجموعة المعيارية للقانون الرومانى، ولابد أن دوو قد رأى هذه العناوين على ظهور الكتب (الحاملة للعناوين، وأسماء المؤلفين، والناشرين)، وظن خطأ أنها أسماء مؤلفين. أما الثالث «إنجيل ملك الأسبان» فالمقصود به هنا هو «المجموعة الكاملة للقانون الكنسى».
(١١٤) كان الإنجليز يظنون الهولندى بدينًا نظرًا لنظامه الغذائى المكون أساسًا من الزبدة والكحوليات.
(١١٥) خلط بين أسماء فلاسفة وعلماء ورجال قضاء إيطاليين وأسبان فى القرن السادس عشر.
(١١٦) المعنى يشير أيضا إلى السذاجة.
(١١٧) الكلمة فيها أيضا إلماح للتصرف بغباء.
(١١٨) كان عيبًا أن يتكسب الشاعر من كلمة وخاصة إن كان من الطبقة النبيلة.
(١١٩) فيليب سيدنى توفى عام ١٥٨٦ وهو من أشهر كتاب عصره، كتب

فى الأدب والنقد، ومن أهم ما كتب مقالته «دفاع عن الشعر» نشرت أعماله بموافقة عائلته بعد مماته.

(١٢٠) يلمح إلى أن دوو ليس ممن يتكسبون بقلمهم.

(١٢١) إنتهت بهذا قصيدته.

(١٢٢) الكلمة هنا لاتينية، فدوو يمزج عباراته أحيانًا بكلمات لاتينية دلالة على سعة أفقه وعلمه.

(١٢٣) الفارق هنا نوعين من الأشكال الشعرية، ما بين القصيدة الشعبية المعروفة بـ "ballad" وبين القصيدة الغنائية القصيرة "madrigal".

(١٢٤) الجرجونة: إحدى أخوات ثلاث فى المثيولوجيا الأغريقية، مكسوات الرؤوس بالأفاعى بدلا من الشعر، كان من ينظر إليهن يتحول إلى حجر.

(١٢٥) كان فساد الضباط بدوافع مأدبة شهورًا مما ألحق بهم رداءة السمعة.

(١٢٦) أحد أيام الفصول الأربعة المعروفة آنذاك، وكان الناس يندفعون فيها أفواجًا إلى المدينة.

(١٢٧) يلمح إلى ما سبق أن ذكره دوو من خلط المؤلف بعنوان الكتاب، للسخرية.

(١٢٨) هناك مثل انجليزى كان يقول «كئيب مثل كلب».

(١٢٩) إلماحًا لمثل كان يقول «خيرٌ أن الاسنان تحرس اللسان».

(١٣٠) مع كل وقفة كهذه تتلوها عبارة استحسان، يكون كتبيرد قد أومىء أو إنحنى مثل «ميوت» فى الفصل الأول.

(١٣١) المعنى مرتبط باصطلاحات القصر وفيه إنزلاق إلى الدلالات الجنسية.

(١٣٢) كتبيرد، وميوت.

(١٣٣) يحاول أن يورطها، ويوقعها فى الكلام.

(١٣٤) المعنى الأصلى يعنى «بقرة» أى بقرة لىّ وبهذا يكون هو ثورًا.

(١٣٥) الأسبوعان من المدد المألوف ذكرها، وهنا يقصد أن تكون سباقة فى الموضة على ما عداها من السيدات بفترة زمنية لا يلحقن بهافيها.

(١٤٠) أى أن التزين، ويعرف الآن بالمكياج، هو المنافس للطبيعة أى للوجه كما هو دون تجميل.

(١٤١) إطار من السلك لتثبيت الشعر أو الطوق.

(١٤٢) طوق رقبة مكشكش كان يرتديه الرجال والنساء فى أواخر القرن (١٦) وأوائل القرن (١٧).

(١٤٣) ورود الأحذية.

(١٤٤) أى خطابات تزكية للتوسط حتى وإن وصلت لعاشر لورد أو من الليدى رقم (١٦) فلن يفلح بهذا فى شىء.

(١٤٥) عند تنفيذ الأمر القضائى للحجز على الدائنين.

(١٤٦) ملتجأ الدائنين حيث كانوا أحرارًا هناك لا يلقى القبض عليهم.

(١٤٧) اسم حانة مشهورة على النهر.

(١٤٨) اسم حانة.

(١٤٩) اسم مكان على ضفة التايمس.

(١٥٠) مقرضو المال كانوا يجبرون المستدينين على أخذ جزء من القرض سلعة لا قيمة لها، وعلى هذا فإن توقع دوفاين هو استلام نقد بسيط لا يفيده.

(١٥١) نوع ردىء من الخبز، والمعنى هنا دلالة على التحقير.

(١٥٢) المحامون أنفسهم كانوا سيئى السمعة.

(١٥٣) أماكن كان يمكن للمتشردين والمجرمين الهرب إليها بعد تأمين ثرواتهم فلا يطولهم القانون.

(١٥٤) (١٥٥) اسما عاهرتين صارا رمزًا، الأولى ذكرت فى مسرحية «هنرى الرابع»، جـ ١ لوليم شكسبير وهى عاهرة كريهة الفم، والثانية ذكرت فى مسرحية جونسون نفسه أيضًا المعنونة «الكيميائى».

(١٥٦) تورية مع كلمة «باربر» التى تعنى الحلاق.

(١٥٧) المطهرون. (راجع الفصل الثانى - المنظر الثانى).

(١٥٨) يقصد بيت أوتر.

(١٥٩) السمق: ثوب خارجى فضفاض يرتدى كوقاية للملابس من الاتساخ.

(١٦٠) حديقة بالقرب من حديقة باريس على ضفة النهر كانت مركزًا لمطاردة الثيران والدببة، وهى لعبة شعبية ككرة القدم الآن.

(١٦١) أغطية الكاسات، على شكل رؤوس الحيوانات؛ انظر أيضًا الفصل الرابع، المنظر الثانى.

(١٦٢) المعنى فيه تهكم على اعتبار أن دوو فارس دببة.

(١٦٣) سبق ذكره.

(١٦٤) كانت تلبس أثناء العطلات مثل أسبوع العنصرة.

(١٦٥) تعبير يستخدمه أوتر مع زوجته دلالة على الإذعان.

(١٦٦) المعنى هنا لاتينى Poetaum pegasus.

(١٦٧) أى ضفة النهر، وهو اسم مكان.

(١٦٨) عملة، سبق ذكرها.

(١٦٩) ثلاث بذلات كانت مخصصات الخادم. وهذا يربط أوتر بخدم البيوت.

(١٧٠) دلالة على توقيره واحترامه.

(١٧١) من أبطال مصارعة الدببة، كان جورج ستون مشهورًا على الأخص؛ مات فى القصر وهو يطارد فريسة أمام ملك الدانمرك ١٦٠٦.

(١٧٢) إشارة إلى كونها كالكلب المسعور.

(١٧٣) تعبير عن الأزدراء، وربما تقصد المغفلين من معارفه.

(١٧٤) هو القائل بتجديد العماد، عضو فى طائفة بروتستانتية نشأت فى أوروبا بعيد عام ١٥٢٠ وتميزت بالشروط القاسية التى وصفتها لعضوية الكنيسة، وبإصرارها على إعادة تعميد البالغين ورفض عماد الأطفال. ويبدو أن هذا الاستخدام هنا غير دقيق، والمواد «المطهرى» والحرية هنا إشارة إلى رخصة الوعظ التى حرم منها المطهرون «الاخوة الصامتون».

(١٧٥) سبق ذكره.

(١٧٦) أوتر.

(١٧٧) استخدمت كلمة معاصرة من الافتاء فى قضايا المصير.

(١٧٨) يشير بذلك إلى مهارته هو أيضًا.

(١٧٩) احتفال يقام عند تنصيب عمدة جديد.

(١٨٠) كاتب إفريقى من القرن الثانى كان يعتقد أن الأحلام لها علاقة بالتنبوء بالمستقبل وله بحث فى تفسير الاحلام.

(١٨١) مكان كان يقع على بعد عشرين ميلا شمال لندن، وكان ملتقى للمواعدات الغرامية والصديق هنا تعبير ملطف بمعنى الحبيب.

(١٨٢) فى النص الأصلى «إنها ابن عمى سير أموروس مأدبته» ويطلق جونسون على هذا النوع من الأساليب فى كتابه **قواعد اللغة الانجليزية** «البناء الفاحش للجملة».

(١٨٣) المعنى هنا مبهم يمكن تفسيره على وجه من الوجوه على أنه يعنى «واحد مثلك يستحق سوءًا أكبر».

(١٨٤) - (١٨٥) أسماء طيور سبق الإشارة إليها.

(١٨٦) درجة مميزة من الخدم فى بيت ملكى أو نبيل يكون مسئولاً عن تقديم الطعام.

(١٨٧) لا - فول. والكلمة هنا «فول» تعنى المغفل.

(١٨٨) على أساس أنه ابن عم زوجته.

(١٨٩) كاليستو التى أحبها جوبيتر وحولها إلى دب ضخم. والإشارات هنا من المثيولوجيا لتعضيد موقفه.

(١٩٠) عمل شعرى شهير لأوفيد. ولكن القصة فى «فن الهوى» لاوفيد أيضا وليس من التحولات.

(١٩١) قطعة ذهبية تساوى عشرة شلنات.

(١٩٢) أغنية يغنيها ثلاثة أو أربعة أشخاص حيث يغنى المغنى الثانى بادئًا بالبيت الأول، ثم المغنى الأول بادئًا بالبيت الثانى، وهكذا، وكان العمال يغنون وهم جالسون يعملون، كان كثيرهم «متطهرين» يحبذون الأغانى الدينية. جاء فى «هنرى الرابع»/ جـ ١ «إننى لو كنت نساجًا، لاستطعت أن أغنى المزامير».

(١٩٣) مراكبى التايمس كان يصرخ بصوت عال لجذب المسافرين والركاب وكان سهلا التشاجر مع المراكبى.

(١٩٤) أى كرجل دين.

(١٩٥) المعنى أصلا «فم كالبلايس»، وهو نوع من السمك المفلطح.

(١٩٦) ملكة الأمازونيين التى يقال إنها حاربت ضد الاغريق فى طروادة، أما سميراميس فهى ملكة الأشوريين الشهيرة التى تخفت فى ثياب الرجال كى تتمكن من تولى مقاليد الحكم.

(١٩٧) الكلمة تعنى أيضًا «المتبهم، الكئيب».
(١٩٨) أى أهل الفأل بالشؤم.
(١٩٩) الأماكن التى كان يزدحم فيها الناس، ويجتمعون كل صباح للحصول على الماء والخبز. وقد كانت مواطن للثرثرة.
(٢٠٠) الخدم الذين كانوا يركبون مع الأثاث، وأوانى المطبخ، فى المواكب الملكية، وكانوا أدنى الخدم منزلة.
(٢٠١) أى متعهدو الثرثرة. والمعشمو العينين الذين يترددون على باعة العقاقير ويثرثرون.
(٢٠٢) يقصده هو نفسه.
(٢٠٣) آلة تشبه اللوت، غالبًا برأس امرأة مثبت على صندوق ملوى الالة، كانت متوفرة فى محلات الحلاقين ليتسلى بها الزبائن.
(٢٠٤) كان الطاعون منتشرًا وقت عرض المسرحية، وهو يقصد سبه بالدعاء عليه أن يبتلى بطاعون فوق الطاعون المنتشر أصلا.
(٢٠٥) فى الزعم الدينى اليهودى أن الله أرسلها ليقنع فرعون بإطلاق سراح بنى إسرائيل.
(٢٠٦) مرض نقاطى كالجدرى.
(٢٠٧) سبقت الإشارة إلى الحلاق كطبيب آنذاك.
(٢٠٨) كانت معروفة بخصلة الحب، وكانت غالبًا طويلة.
(٢٠٩) كانون نحاس ذو غطاء كانوا يستخدمونه لتدفئة السرر قبل الإيواء إليها.
(٢١٠) إشارة إلى الصقيع الأكبر عام ١٦٠٨ عندما تجمد التايمس لمدة أسابيع.
(٢١١) كانت هذه الفوانيس تباع لدى محلات الحلاقين.
(٢١٢) طست معدنى كان يستؤجر من الحلاقين، ويضرب به أمام القوادين، وهم ينقلون بالعربات خلال الشوارع.
(٢١٣) كان سائلاً يستخدمه الحلاقون لتثبيت الشعر والمعنى أصلاً للبول المتفه.
(٢١٤) كان الحلاقون ينظفون الأذان، ويخلعون الأسنان التى كانوا يعلقونها على خيوط.
(٢١٥) المعنى هنا مستقى من المقامرة.
(٢١٦) كانوا مع عمال مناجم الفحم أقل الزبائن رغبة عند الحلاقين، لأنه من المحتمل أنهم أقذر الزبائن.
(٢١٧) معلن أسماء الضيوف، معنى اشتقه جونسون وهى تورية على القعقة والثرثرة.
(٢١٨) أى المغفل.
(٢١٩) أى دخائل الغرام.
(٢٢٠) كانت تقدم للسيدات فى حفلات الزفاف.
(٢٢١) ألوان شعارات النبالة التى كانت تعرض فى مثل تلك المناسبات.
(٢٢٢) المعنى الحرفى من قبعة الطفل إلى طاقية النوم، أى من الطفولة وحتى الكبر.
(٢٢٣) تذكارات لأصدقاء العروس.
(٢٢٤) أغنية على شرف العروسين.
(٢٢٥) عمل مسرحى استعراضى كان يشارك فيه ممثلون وغيرهم من المقنعين سبق الإشارة لهذا.
(٢٢٦) يشير إلى تطنج هويتى وزياراتها السرية للمدينة.
(٢٢٧) المعنى الأصلى هنا فيه تورية واضحة، فكلمة العريس هنا (groom) تعنى أيضًا الخادم.
(٢٢٨) مادة صفراء صلبة تتخلف عند تبخير التربنتينا من راتينج الصنوبر، وتمسح بها أقواس الكمان وأحذية البهلوانات لمنعها من الانزلاق. والأوتار مصنوعة من الأمعاء، والقوس من شعر الحصان، والراتينج للضرب على القوس.
(٢٢٩) الحمار مثال للجلد، لكنه أيضًا مثال للغباء.
(٢٣٠) يقصد هنا أفظع الحورنات الثلاث، سبق الإشارة لذلك.
(٢٣١) التى ستحوله إلى حجر إن نظر إليها.
(٢٣٢) مفهوم جونسون عن الغاية من الكوميديا هنا إلماحًا لمفهوم أرسطو فى «فن الشعر» عن التطهير فى التراجيديا.
(٢٣٣) المعنى الأصلى امرأة بالغة الضراوة، إحدى الكائنات الأنثوية الشرسة للانتقام من الإساءة.
(٢٣٤) إشارة إلى بنود الإيمان التسعة والثلاثين فى كنيسة إنجلترا.
(٢٣٥) تمثال (أو دمية) لعرض الملابس فى واجهات المحلات.
(٢٣٦) كالحة بفعل الماء الحار أو البخار عند تنظيف الصحون، أو ما شابه.
(٢٣٧) الأولى هى أشهر الرومانسيات الفورسية، وكان جونسون يحتقر تلك الرومانسيات «ودون كيشوت» العمل الشهير للاسبانى لسرفانتس.
(٢٣٨) زوجة اورسيس التى صدت المتوددين إليها ٢٠ عاما حتى عاد زوجها من طروادة، ويضرب بها المثل هنا فى طول التحمل والصمود.
(٢٣٩) «أوستند» ميناء بلجيكى حاصره الأسبان من يوليو ١٦٠١ إلى سبتمبر ١٦١٤ ثم سقط بعد ذلك.
(٢٣٨) حيث كانت تباع الخضر والفاكهة.
(٢٣٩) منجم ومشعوذ كان يعتقد أنه يرود النساء بشراب المحبة، وشراب المحبة (عقار أو تعويذة) كان يعتقد أن له القدرة على إحداث الحب أو العشق.
(٢٤٠) فى أشواط الشراب.
(٢٤١) فرجيل: الإنيادة.
(٢٤٢) صيحة لحث الكلاب على المطاردة.
(٢٤٣) ملاحظة قيصر وهو يعبر الرابيكون. والرابيكون نهر فى شمالى ايطاليا كان يشكل جزءًا من الحدود بين الجمهورية الرومانية والولايات التابعة لها. وقد اجتازه يوليوس قيصر عام ٤٩ ق.م.
(٢٤٤) أى السيدة أوتر، وذلك لاسترجالها.
(٢٤٥) التريتون: نصف إله من أنصاف آلهة البحر عند الاغريق له جسم رجل وذيل سمكة.
(٢٤٦) تتكلم زوجة أوتر وهى على بعد لا يتيح له سماعها إلى أن تتقدم لمواجهته.
(٢٤٧) مقارنة شائعة فى الدراما فى ذلك العصر. ذكرت فى مسرحية شكسبير «خاب سعى العشاق»، وكانت على ما يبدو دائمًا ما تحتاج لإصلاح.
(٢٤٨) يستهزىء بها.
(٢٤٩) أمازونية حديثة طبقًا لقصيدة شعبية، تنكرت فى زى جندى فى إحدى الحصارات.
(٢٥٠) يوم الشغب ضد الأجانب عام ١٥١٧ الذى هاجم فيه صبية الحرف فى لندن الأجانب الأثرياء.
(٢٥١) كان الموكب الرسمى يمر عليها.
(٢٥٢) مستشفى الأمراض العقلية. سبق الإشارة إليها.
(٢٥٣) لعبة يلعبها الأطفال كأنما يركبون الخيل وهو استهزاء من كلريمونت به.
(٥٢٤) يشير إلى زوجة أوتر على أنها أميرة، وبمقارنتها بأبيسين تكون الأخيرة إمبراطورة.
(٢٥٥) تروويت يمعن فى التكرار.
(٢٥٦) اضطراب عصبى وظيفى.
(٢٥٧) كتبا فى التاريخ الطبيعى والطب على التوالى.
(٢٥٨) دوو يعيد ويزيد فى كلمات متشابهة فى معانيها إظهارًا لعلمه.
(٢٥٩) أى يعامل كعينة فى محاضرة تشريح.
(٢٦٠) هذيان ارتعاشى ناشىء عن الإسراف فى شرب المسكرات.
(٢٦١) مجموعة قديمة من حكايات بيديا ترجمها إلى الايطالية دونى. سير اموروس يخلط هنا هذه الحكايات مع حكاية من القرون الوسطى، وهى حكاية رينارد الثعلب.
(٢٦٢) إحدى كتابات توماس بيكون يحث فيها المريض على الصبر والاذعان فى أثناء المرض.
(٢٦٣) كتاب للكاتب روبرت جرين، كتبه وهو على سرير الموت ١٥٩٢).
(٢٦٤) أى أنه معتوه.
(٢٦٥) للتحقير من شأن دوفاين كمستخدم فقير.
(٢٦٦) من ألعاب الورق والمقامرة.
(٢٦٧) الصقر الصغير كان مثار احتقار لمن يوصف به.
(٢٦٨) عندما حاول أحدهم التعدى على العروس وهو سكران، نشب قتال

دامى بينهم كما جاء فى تحولات اوفيد. قررت يلمز إلى إدعائهما المعرفة، وزاد دوو الطينة بلة حين علق بقوله إنه يأمل فى الانتهاء من قراءة «تاسيتوس»، المؤرخ الرومانى الذى ملأت أعماله مجلدات ضخمة.

(٢٦٩) مستمدة من مثل كان يقول «الخوف له أذن لاقطة».

(٢٧٠) أى من خطورة لا - فول المزعومة.

(٢٧١) نوع من البنادق.

(٢٧٢) الأصل: المسكيتات، وهى بنادق قديمة الطراز خاصة بجند المشاة، وهو هنا يستخدم الجمع للتهويل.

(٢٧٣) كان يعلق فى هذه القاعدة الاسلحة القديمة والحديثة.

(٢٧٤) أبرشية كانت مكتظة بالسكان الشاكسين تشمل سجن نيوجيت فى شمال غرب لندن.

(٢٧٥) طعام الطفل والمعوق.

(٢٧٦) استعارة عسكرية من الدورية التى تدور حول العسكر أو الحصن للتأكد من أن الحراس يقظون.

(٢٧٧) كانهذا الشرطى مخصصًا للقبض على السادة الذين لم يسددوا ديونهم.

(٢٧٨) معناها النونية المهجعية، وهى مبولة توضع فى حجرة النوم، ورأينا الاكتفاء بكلمة «مبولة».

(٢٧٩) اختراع سير جون هاريجتون «للتواليت» الدفاق. وكان له كتاب عنوانه «تحولات آجاكس» (١٥٩٦).

(٢٨٠) أو قنبلة كانت تستخدم لحرق الجدران وتهديم البوابات.

(٢٨١) المعنى هنا يتعلق بختام عرض مسرحى.

(٢٨٢) المعنى الزمنى للكلمة «سجادة» فى الاستخدام المعاصر. وهى مفرش مائدة من الصوف السميك.

(٢٨٣) يشير إلى الفرس الحرون عندما يعند.

(٢٨٤) أى بالجانب غير الحاد من السيف.

(٢٨٥) يستهزىء به وبألوان شارات نبالته، فالأحمر هو لون الدم هنا.

(٢٨٦) يقال إن الملك هنرى الثالث، ملك فرنسا، كان موضوع «جزيرة المخنثين» لتوماس آرثيس، التى كتبها عام ١٦٠٥.

(٢٨٧) أى خصلة الحب كما كانت تعرف.

(٢٨٨) لا - فول، ودوو.

(٢٨٩) تعبير متحذلق لـ «متخذه صديقًا».

(٢٩٠) من التراجيديات الكلاسيكية حيث يساعد الأول الثانى فى الانتقام لمقتل أبيه أجاممنون.

(٢٩١) أى لن يخالفه.

(٢٩٢) هو نفسه جون دوو.

(٢٩٣) المعنى هنا يشير إلى السيف الذى يستخدم فى المبارزة، والمعنى يكون أيضا إلماحًا لنسيانهما ما كان بينهما.

(٢٩٤) أى توقعًا لمصادرة ممتلكات موروز كما يحدث مع مجرم.

(٢٩٥) إشارة إلى توماس هوبس الذى يقال إنه كان يحمل قلمًا وحبرًا فى مقبض عصاه التى يمشى بها.

(٢٩٦) هندى أحمر أحضر من فرجينيا إلى إنجلترا عام ١٦٠٨ وأعيد عام ١٦٠٩ يقال إنه مستشار أحضر كرهًا.

(٢٩٧) إشارات ساخرة.

(٢٩٨) المعنى الأصلى «خط عرضها» تمشيًا مع سياق المعنى باعتباره راسم خرائط وحامل بوصلة.

(٢٩٩) هذا المعنى حير كثيرًا من النقاد والدارسين ويمكن فهم المعنى على أن لا - فول يشير هنا إلى رشاقة دوو وحيويته الفائقتين.

(٣٠٠) سرير ضخم مقاسه ١١ قدمًا مربعًا ذكر فى مسرحية شكسبير «الليلة الثانية عشرة» ويتسع لاثنى عشر شخصًا وهو موجود الآن فى متحف فيكتوريا والبرت.

(٣٠١) المعنى الانجليزى يحتمل الإقامة أو الرقاد، وبتعديل بسيط فى زمن الفعل يعنى أيضًا «الكذب».

(٣٠٢) «دون» لقب أسبانى يعنى «السيد» لكنه كان يطلق للسخرية، و «برايد جروم» تعنى العريس، ولكنه يستخدمها هنا كاسم وليس كنعت.

(٣٠٣) فى كل الطبعات الأخرى تقريبًا يبقى كلريمونت دون داع على المسرح ولا يتكلم ثانية. إلا فى المنظر الثانى، ٤٣.

(٣٠٤) كوارتز شفاف لا لون له.

(٣٠٥) من المحتمل أن دوفاين يقول هذا على حدة وليس لها مباشرة.

(٣٠٦) من أساليب الحذلقة عند ليدى هويتى.

(٣٠٧) من تراكيب الجمل التى يبرزها جونسون عمدًا.

(٣٠٨) الثقة هى أيضًا من معانى اسم «تريستى».

(٣٠٩) المعنى الأصلى يوحى بأنها تلصق نفسها باستخدام الجص للزينة.

(٣١٠) أى أنها لن تسر ناظره حتى على الضوء الخافت، وهو معنى يشير إلى رومانسية الانفراد أيضًا أو حسيته على السواء.

(٣١١) من المحتمل أن ميفس لا تخاطب سنيتور مباشرة، وإنما تكلم نفسها.

(٣١٢) أى لا ينبغى أن يفضى بما بينه وبين الجنيات، وهو من معتقدات العصر.

(٣١٣) هذه الجوهرة.

(٣١٤) المعنى يشير أيضًا إلى معاودة المريض.

(٣١٥) أدبيًا ، المقطع الختامى لقصيدة، وتعنى هنا المشهد الختامى.

(٣١٦) جنوب شرق لندن عند المنتزه الملكى، حيث أظهر كورنيكس دربيل ابتكاره الذكى للحركة الاصطناعية الأزلية.

(٣١٧) يقصد المجاملة لكتبيرد على أساس أنه ليس الأقل استحقاقًا أو الأضعف.

(٣١٨) إشارة إلى الاغريق والرومان.

(٣١٩) أى عن المانع الثانى.

(٣٢٠) لأنه أخطأ فى استخدام الكلمة اللاتينية الصحيحة.

(٣٢١) كانت تقال للرجل الأحمر الوجه.

(٣٢٢) ترووت يعلق على خطأ أوتر فى القواعد النحوية اللاتينية باستخدام المفرد بدلا من الجمع وقد ترجمناها هنا على هذا النحو لتتماشى مع السخرية الناتجة عن الموقف.

(٣٢٣) يبدو أن موروز منصرف عنهما.

(٣٢٤) أوتر وكتبيرد يكرران الكلام سويًا إمعانًا فى التنكيد على موروز.

(٣٢٥) موروز يعلق على هذا التكرار ساخرًا.

(٣٢٦) تورية على أنه ليس له ضمير.

(٣٢٧) أعراض الطاعون الذى كان سائدًا آنذاك.

(٣٢٨) أى لم تحافظ على نفسها.

(٣٢٩) لم تكن تقبل للفارس المضروب شهادة فى المحكمة أو اعتبار.

(٣٣٠) تخاطب ابيسين على اعتبار أنها زوجة موروز.

(٣٣١) يعتبر بكاء ابيسين كذبًا كدموع التماسيح التى تذرف الدمع وهى تطبق على فريستها.

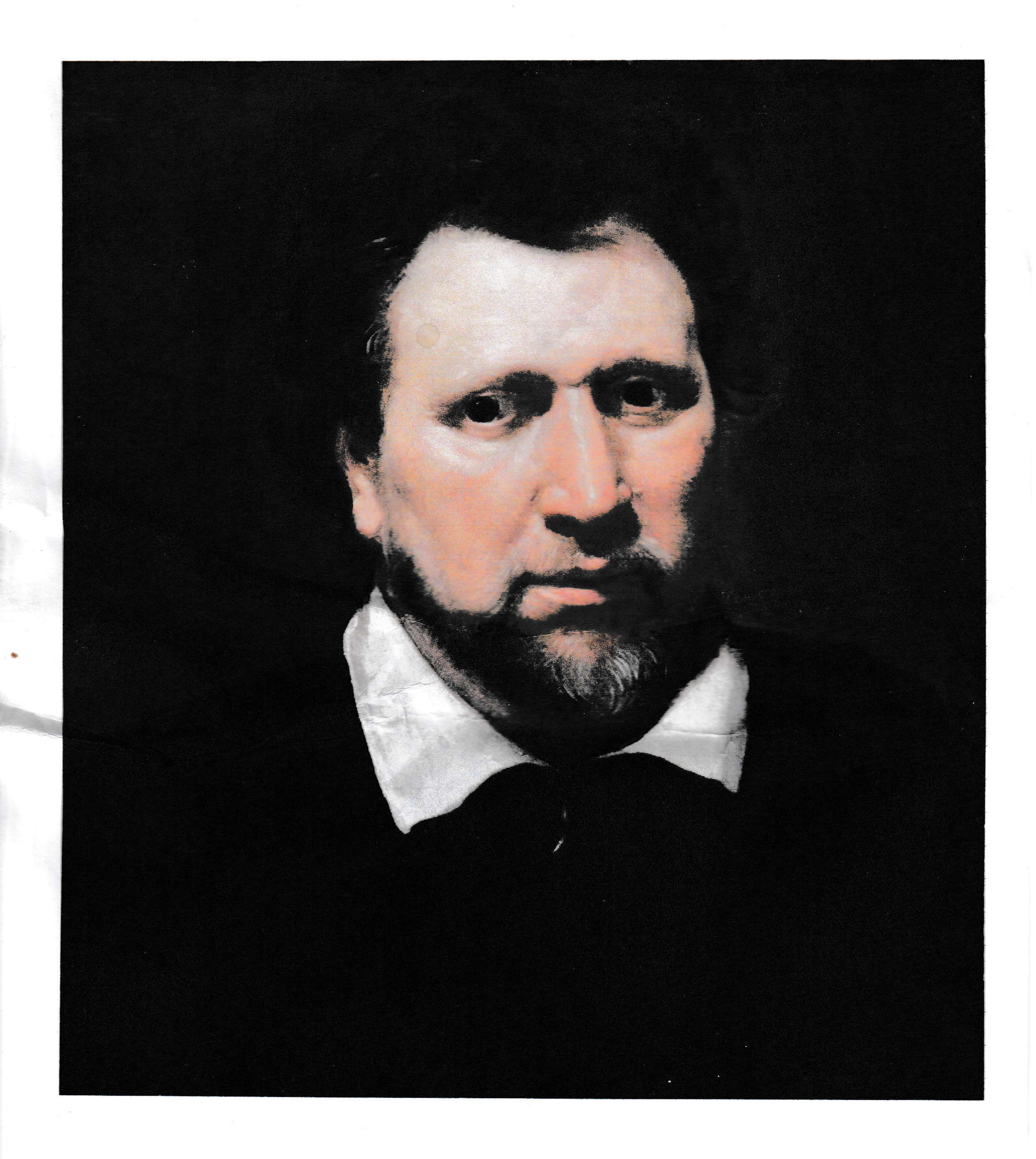
(٣٣٢) إشارة إلى الموانع القانونية للزواج، وهو هنا يمزح استهزاءً.

(٣٣٣) يردد ما كان يقوله موروز على سبيل الهزو.

(٣٣٤) أى زوجته.

(٣٣٥) يشير إلى المعنى المزدوج ما بين المضاجعة والكذب.

(٣٣٦) لشراستها كامرأة.



بن جونسون